

٦٥

منتدى ليلاس

مجلة  
روايات أحلام



لـخـافـقـلـكـ



[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

# منتدى ليلاس

## مجلة روايات أحلام

### لا تخافي قلبك

سرت قشعريرة صغيرة من الشوق في كيانها كله. شوق؟ إلى هذا الرجل؟ لا بد أن هذا جزء من الخيال الذي تطوف فيه...  
كيف تستطيع أن تعيش مع رجل يرعبها حتى الموت، وفي الوقت نفسه يسلب قلبها بمجرد نظرة منه؟ البارون فرانكلو دوسانكور يريدها الآن وهو رجل تعود أن تكون إرادته قاتلناً.  
استجمعت غريبا كل الأسى الذي زرعه في نفسها طوال سنوات، وكل الخوف الذي يفرضه وجوده ووجهه المشوه عليها. لكن كل ذكرياتها المظلمة المتعلقة به لم تكن كافية لتقول لا... .

# منتدى ليلاس

## ١ - بارون الظلام

بدأ اليوم يوماً عادياً . فلم تحسن غربنا حين استيقظت أن مصيبة ما على وشك الوقوع . ارتدت ملابسها ، ومشطت شعرها الكستاني حتى أصبح براً فاً ثم هرعت إلى الطابق السفلي يبحور ومنه إلى الشارع . لن تعود مرة أخرى إلى أتون الذوبان . . . الأمر الوحيد الذي تكرره معرفتها بأنها عاجلاً أم آجلاً ستضطر إلى مواجهة فنتن ديكسون بشأن الصفقة التي يجريها من وراء ظهرها . كانت تغنى أثناء المسير إلى محطة مترو الاتفاق .

وصلت كالعادة قبل أي شخص آخر ، وهذا ما تجده ، لأن ذلك يمهلها الوقت للتفكير في أمور كثيرة جوهرية ، فما أن يصل فنتن حتى يقلب المكتب رأساً على عقب . فنتن شاب ديناميكي ناجح جداً ولكنه غير منظم ولهاذا السبب أدخل غربنا معه شريكة ثانوية حين أنس . وكانت العقارية . فلم تكن غربنا على معرفة تامة بأمور الأموال فقط بل كانت قادرة كذلك على إدارة مكتب حافل بالأعمال وحدتها إذا لزم الأمر فيما هو وديسموند يورك يتوليان الأعمال الخارجية .

ابتسمت غربنا بخسونة ، وهي تراجع البريد اليومي . بإمكانها إدارة المكتب ، نعم ، إنما هذا فقط إن حظيت بقليل من الوقت لنفسها بعيداً عن فنتن ونشاطه العاصف .

في الشهر الأول الذي عملا فيه لم يكن لديها أي وقت يذكر ، كان قد أشركتها في كل شيء لأنه في البداية رغب أن يؤثر فيها ، غير أنه عاد

وقدّة خبرتها لأن هذه الوظيفة هي وظيفتها الأولى كانت كفوة .  
سمعت طرقاً على الباب الخارجي ، فرفعت رأسها حالما دخل  
الوادى الجديد إلى المكتب الصغير خلف منطقة الاستقبال المفتوحة .  
قال ديسموند بورك يعبر :

- صباح الخير يوم جميل . ألم يصل تابليون بعد ؟  
لم يكن فنست محبوباً من موظفيه ، لكن ديسموند ، البائع الجيد ،  
وخير الأملاك كان الوحيدة الذي يظهر هذا بوضوح . ودت غريباً تعذر  
شققها .

- قال شيئاً ليلة أمس عن لقاء زبون في المطار . كما قال إنه قد  
يتاخر .

لم يظهر على ديسموند الدهشة ، بل قال :  
- عظيم . ألم يطلب متى مرافقته ؟  
- لا . وأنا مسرورة لأنه لم يطلب ذلك . أتني أفضل أن أبدأ يومي  
بدون أن يكون عندي عمل متأخر .  
- ومني بدأت عملي قبل أن تنهي كل ما خلفه وراءه حبيبي ؟ إلا  
تعلمين أنت تضيعين نفسك برعايتك ؟

لم ترد . فهو الشخص الوحيد القادر على قول هذا ، مع أنها  
تدرك أن هذا الرأي يشاركه فيه معظم العاملين السبعة عند فنست .  
وضعت الرسائل غير المفضوضة على طاولة ماغي ، وعادت إلى  
طاولتها ، فرقيها ديسموند ساخراً ، ولم يكن في سخريته ما يدعو  
للغضب . إنها تعرف منذ تعرفت إلى فنست ولكن أيًّا منها لم يتجرأ  
إلى الآخر ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلتها توافق على الانضمام  
إليهما حين أنسا وكالتمها . فالجاذبية تجعل غريباً متورّة ، وهي لم  
تشعر مع فنست وديسموند بمثل هذا التوتر إطلاقاً .

كانت تعرف أن فنست يراها فتاة صغيرة الجسم ، أكثر من متوسطة

فخفف من ذلك لأنه كان كمن يعارض لجاجها المتزايد مع زيارة  
المكتب الإيطاليين . كانت براعتها باللغة الإيطالية تتفوق قدراته هو  
لذلك راح الزبائن يطالعون بها وهذا ما لم يعجب فنست أبداً .

حين حلّمت أنه يقوم بأعمال من وراء ظهرها مع شخص كان من  
المتوقع أن تقابلها هي أولاً ، افترضت في البداية أن هذا مظهراً من مظاهر  
الغيرة الدهنية وأصرار عن فنست على إثبات قدراته على التعامل مع  
زبائن يتحدث الإيطالية بدون مساعدة غريتا أو روك . ولكنها كانت تشعر  
بأن وراء تكتيمه ما هو أعظم . إنها تعرف الدلالات التي تظهر على شخص  
يقوم بصفقة مشبوهة كادعاء العقوبة وظهور بوادر الانفعال المكبوت .

كانت قد لاحظت مثل هذه البوادر على عصمتها خودفري حين  
شاهدته آخر مرة للذا عرفت أن عليها أن تواجه فنست لخطابه بالاعتراف  
بما يفعل حتى وإن كانت صدقته الحقيقة قانونية . فلو حل به خطب ما  
لجهزت هي وديسموند أيضاً وهذا معنى الشراكة . شريك واحد مسؤول  
عن الآخرين : الدينون ، العمل ، آداب المهنة . ارتجمت غريتا .  
وتاتي تفاصيل البريد .

كان بين الرسائل رسالة عليها دمعة بريد «بورتو بانوس» فتحتها  
جانباً لتنظر في أمرها حالاً . كان هناك عدد آخر من الرسائل وصلتهم  
من الخارج ولكنها لم توقع أن تجد فيها أمراً اضطرارياً ، فتركتها  
لماجي ، سكرتيرتها ومسكرتيرية فنست . ثم ، توقفت أصابعها على كومة  
السجلات : أن يكتب على الملف بخط اليد أمر نادر . وهذا الخط  
بالذات تحصل أنها تعرفه . ترددت ثم انزعجت الرسالة وقلبتها إلى  
الجهة الخلفية ، فالمرسلون عادة يضعون عناوينهم في الخلف . ولكن  
لم يحدث هذا في هذه الرسالة .

تركتها ثم هرأت كثبيها ، ربما هو زبون جديد . بإمكان ماغي  
فضحها لتجليلها بعد ذلك إلى الشخص المقصود . فماجي رغم صغر سنهـ

وارتشفت فهودتها الساخنة اللذيدة الرائحة.  
- ولماذا تحسدينها وأنت تحيلة جداً.. هل نحلت بعض الشيء  
مؤخراً؟

كانت فعلاً تخسر من وزنها، مع أنها لم تكون مريضة.. ولكن منذ  
أن جاء غودفري إليها آخر مرة وهي تنسى أن تتناول الطعام أسباناً.  
- أهناك ما يشغل تفكيرك؟

رفعت كوب الفهودة إلى شفاهها، أما ديسموند فجلس باليها مسندًا  
مرفقة إلى الطاولة قائلاً يذكر أدهشها:  
- ولا تدعني نابليون يؤثر فيك.

ارتفرعت عيناهما إلى وجهه.. حين يذهبها أمر ما كانت عيناهما  
تسعان وتتشعآن كعیني قطة.. أكمل ديسموند:  
- أنا أعرف فست أيضًا، ولا تعجبني بعض الصفقات التي يورط  
فيها نفسه.. ولا أظنك راخصة أيضًا، أليس كذلك؟ ولهذا السبب يبغضها  
سرًا لنفسه.. هناك شخصيات غريبة تأتي لمقابلته، خاصة في  
الأسباب.

نهدت غريتا لأنه أفلقها أن تسمع أسماء مخاوفها تصدر كلاماً مقنعاً  
صارخًا، فهي منذ أسبوع تتعلق بأمل أن تكون مخططة..  
- هل قابلت أحدهم، فهو لم يسمع لي برقائهم؟  
هز ديسموند رأسه ببطء ثم انتسم:

- ولم يسمع لي أيها، عرفت بمحضر الصدفة، تقريباً.. كنت قد  
نسقت معطفى في المكتب، وعدت لآخره، فوجدت عنده صديقه  
الإيطالي.. كانوا يتحدثان عن مشروع تطوير الخط الساحلي من رفانا  
حتى انكونا.. ويداً لي هذا مشروع «الميجا» دولار..  
- لكن هذا لا يعني أنه مشروع غير قانوني..  
نظر إليها ديسموند بإشفاق:

الطول يتقليل، ترتدي دائمًا وبساطة، بدلة كحالية وببلوزة متسمجة، ذات ياقة مرتفعة، وبريبة عنق رفيعة كثربط الحداء.. وكان يرى أيضاً  
أن بيتها جيدة وشعرها القصير يراق ذو لون ذهبي يتدرج بين الكستاني  
والذهبي.. وكانت يشربها والمعة أشبه ببشرة طفل، أما أعدادها التي غالباً  
ما تخفي الصبحكة في عيدها اللوريتر، فكانت طوبية معكوفة كما  
يمكن أن تسمىها آية إحسانية تجميل.. لم يكن لديها فكرة أن ديسموند  
مؤمن بأن غريتا أورك، الكفوة قد تكون صارخة الجمال إن شاءت..  
فيعبأ العاذقان وجدتا منذ زمن بعيد أن لديها روحًا متألقة لا تسمع لها  
بالظهور وكثيراً ما تسائل لماذا تتفضل أن تبدو غير بارزة.. وهذا غريب  
لأن معظم النساء يرغبن في إبراز مفاتنهن بدل إخفائها.. أليه نسه  
بإعداد الفهودة التي سرعان ما راح سائلها يبعث رائحة مثيرة.. رفعت  
غريتا رأسها عملاً تعلم وسائل صاحبة: «منى تنتهي».

- حسن دقائق.. وهذا وقت كاف لإنتهاء ما أمامك للحصول  
على أول فنجان قهوة اليوم..  
ضحكـت غريـتا، وعادـت إـلى الرسـائل فـكتـبت رـداً سـريـعاً عـلى  
رسـالة، وسلـسلـة من الرـدوـد الـاقـرـاضـة عـلى أـخـرى، ثـم أـجـابـتـ هـاتـفـياً  
رـداً بالـتـلـكـسـ على رسـالة ثـالـثـة بالـلـغـة الإـيطـالـيـة، وـيـعـدـ ذلك رـفـعـتـ رـأسـها  
فـرأـتـ دـيسـموـنـدـ يـصـبـ الفـهـوـةـ فيـ الكـوـبـ الذـيـ عـلـىـ طـاوـلـتهاـ.. فـيـ هـذـاـ  
الـوقـتـ كـانـتـ مـاـفـيـ قـدـ وـصـلـتـ بـعـدـماـ عـصـفـتـ بـهـ الـرـبيعـ.. وجـلـستـ عـلـىـ  
مـقـعـدـهاـ فـيـ المـكـتبـ الخـارـجيـ لـتـعـالـمـ بـعـدـماـ عـصـفـتـ بـهـ الـرـبيعـ.. وجـلـستـ عـلـىـ  
رـقـاقـاتـ الـبـطاـطاـ الـذـيـ لـاـ بـدـ مـنـهـ فـيـ درـجـ طـاوـلـتهاـ.

علق ديسموند:  
- هذه الطفلة تأكل طعاماً لا فائدة منه أكثر من أي شخص آخر وفي  
الواقع أنها تأكل كثيراً، ومع ذلك تظل تحيلة كالعصا..  
أرجعت كرسيبها إلى الوراء: «هذا غير عادل».

بالوقوف، سمعت صوتاً فاستدارت متزعجة بعض الشيء  
وتحت ما في الباب متأففة...  
- في الباب امرأة ترددك، إنها تقول إنك ستقابلينها حتى بدون  
موعد.

نظرت إلى قطعة الورق في يدها وقالت:  
- إنها تريشا مونديغو... تقول إنك تعرفينها.  
حاولت غربتا الكلام، لكن فضلت قاطعها:  
- مونديغو؟ لا أظن... كيف هو شكلها!  
- هي في الثلاثين من العمر، رائعة الشباب، سوداء الشعر كرافصة  
باليه وانكليلزتها رائعة.  
ربما الوصف الأخير هو ما أغري فضلت لأنك عادة لا يقابل الزائرين  
عن غير سابق موعد.

قال: «حسناً... أدخلها».  
لكن حين دخلت الآنسة مونديغو، تحركت غربتا إلى الأمام  
بسعادة غامرة: «تريشا».  
عانتها الغابة الإيطالية بحرارة، تصبح جذللي بلغتها، فتجهم وجه  
فضلت، وقال بلوزم:

- هل أنتم من هذا أن زيارتك خاصة سينورينا مونديغو؟  
تركث تريشا صدقة ونظرت إليه ببرود، وقالت بصوت يشير إلى  
أنها تجده أقل من أن يكون مؤثراً.

- أرغب في الكلمة على انفراد مع غربتا... بكل تأكيد. فهل تسمع  
لنا بالانفراد؟

رد فضلت بحزم:  
- أخشى أن هذا مستحيل إلا إذا كان ما تريدين ذكره يتعلق بالعمل.  
نحن مشغولون جداً في الوقت الحاضر سينورينا مونديغو.

- إنه قانوني دون شك. فلماذا يأتي بلوبيير متخصص بمشاريع  
التطوير العقاري إلى مكتبكم كمسكتها في ثلاثة شركاء علمًا أنه قادر على  
أن يذهب إلى وكالة عالمية لديها مئات الاتصالات  
- لكن، لدينا اتصالات جيدة في إيطاليا.  
رد بعمومه:

- لديك أنت نفسك تستطيعين التحدث إليهم بحسب  
مستواهم. فضلت يترى أمر الصغار فقط... أما أنت نقطة ارتكاز  
عملنا في الأملال الإيطالية وانظري رغم ذلك لا يسمح لك بمعرفة هذه  
الصنفة... وهذا ما هو مطلوب معرفة سبيه... حسناً، سأذهب لأبشر  
بالعمل.

عندما وقف مال قليلاً إلى الأمام ليعبث بالرسائل:  
- أنت مصدر خجل لي.  
تركها تستغرق في التفكير... يبدو أنها محاطة بالشخصيات  
العربية. تصاعد توتها وهي تذكر في هذا... لم يكن غودفري الوحيد  
الذي يذكرها كلما زارها بأنها متقدمة من عائلة محتالين وخائنين، ملـ  
ـزال أمامها دبور كثيرة تسددها وهو هي الآن تواجه فضلت يرج نفسه في  
ورطة لا نعلم ما هي. يجب أن تكلمه لأن ديسموند لن يفعل ذلك. إن  
فضلت هو أكثر من يستقر في هذه العملية كلها.  
مررت يدها في شعرها الناعم وعتباها مظلuman. ربما عليها ألا  
تفعل... لكن لماذا لا تفعل؟

وصل فضلت بعد ساعة ونصف سعيداً بنفسه بشكل مريب... بدا  
لها أن ترك الزبون المهم الذي حدره من أن يذكر اسمه في الفندق.  
دخل بسرعة غربتا بحماس على خديها، ثم وقف يتأمل تصاميم  
ظهور ملاعب غولف ومسابح. سحب غربتا نفساً عميقاً فالوقت قد  
حان... هيا أسلية، أسلية ماذا سيفعل. ولكن فيما كانت تهم

نظرت

إليه تريشا بهدوء:

- أوه يتعلّق الأمر بالعمل.

قال: «إذن سأكون مسؤولاً بأن أتولى الأمر بنفسِي».

أشار إلى متعدد قرب طاولته.

هرت رأسها بهدوء وطفق وقالت بحرز فاق حزنه: «بل أريد

غريبة».

تجهم وجه غربتا من جديد فناطعهما غربتها بسرعة.

- لماذا لا تذهب إلى مكان تتناول فيه فنجان قهوة؟ بهذا ترك

فستان بدون أن تزعجه. وعندما أعود أقدم تقريري.

أدركت أن عليها اخلاق قصة مقتنة حين تعود. كان هذا ما قاله

لترisha حين جلست في صالون فندق عصري تقيم فيه تريشا وهو المكان

الذي أصررت على أن تذهب إليه، ابتسمت تريشا، فبدت ككل الفتاة

الصغريرة التي كانت.

- أجل.. يبدو أن بإمكانه أن يكون شريراً.. من هو بالنسبة لك؟

انقضت غربتها لأن تريشا صريحة دائمًا بشأن الأمور الشخصية،

ولكن صراحةً أنت بسرعة. فهمساتم تلتقطها من خمس سنوات ولديها كاتباً

في التاكسي الذي أفلحهما، لم تبادر لسوى الأحاديث اللائقة.

أكملت تريشا، وبلهجة ناعمة هادئة: «ليه لا يكون حبيبك، إنه

فظ وغبي».

ابلعت غربتها ريقها وحاوالت أن تكون رزينة ولكنها أخيراً

ضحكـت:

- لا يمكن تشجيعك على شيء.

- هل هو حبيبك؟

- لا.. نحن زملاء في عمل واحد ليس إلا.

حاوالت تريشا هضم هذا، ولكنها ظلت عابسة:

- أوه.. بدا لي متسلكاً

- لعمله فقط، فهو من يتعامل عادة مع الزبائن

- آه.. فهمت.. إذن، أهناك شخص غيره؟

هزت غربتها رأسها:

- تريشا، نعرف بعضنا منذ عشر سنوات، ومنذ ذلك الوقت لم تلتقي سوى مرة، ثم فجأة تظهررين فتحاولين استجوابي بشأن حياتي العاطفية. لماذا؟

غضبت تريشا شفتها ثم قالت بصوت بدا متوراً:

- أعتقد أن تفكيري يسرّ في هذا الاتجاه في الوقت الحاضر. من الواضح أنك لم تسمعي أخباري. أنا محظوظة لفرانكو مونتاغيو دو سانكور.

احسنت غربتها أن معدتها قد هوت فنظرت إلى صديقتها بلهول وكأنها غير موجودة. وكانت الأصوات في الصالون، وجلبة السقا، والموسيقى الناعمة لا وجود لها، إنها لم تكن ترغب في سماع ذلك الاسم إطلاقاً.وها هي تريشا، التي كانت يوماً أعز صديقة، تقول إنها ستتزوجه.

أعلنت تريشا التزيمد غربتها تشوشاً:

- ولبنى لم أكن لا أدرى لماذا وافقت.. إنه يخيفني.

نظرت غربتها إليها عن غير وعي لأن تفكيرها لم يجد قادرًا على تشكيل الكلمات.. حالت تريشا نحوها باللحاج:

- أحتاج إلى مساعدتك غربتها.. حقاً لا أدرى ما أفعل.

فهمت تريشا صمت غربتها على أنه قبول أو تعاطف فارعٍ تقص على نفسها أمر خطوبتها وعرفت غربتها أن فرانكو مونتاغيو دو سانكور، قد طلب بدها متسللة.

- في البداية لم أستطع مواجهة الأمر.. إنه.. حسناً أنت تعرفينه!

- أجل.. أعرفه.

- إنه.. متباعد، عرفته منذ سنوات وما زان غرباً بالنسبة لي

رددت غريبتا لا إرادياً «أجل».

- كانت أهي مسروقة طبعاً

فكترت غريبتا في السيريرا مونديغو، الأرملة المرحة، التي تركت بلادها إسبانيا لتوسيع منزلها على ساحل إيطاليا الغربي. حين تعرفت إليها غريبتا، كانت تريشا تشرف على إدارة المنزل الذي حولت جزءاً منه إلى مدرسة تعليم ركوب الخيل ولكن تريشا لم تكن أهلة لهذا العمل وهذا يعني أن السيريرا فرحت أشد الفرح عندما علمت أن رجلاً ثرياً يطلب يد ابنتها.

أكملت تريشا:

- بدأت تدفعني.. لم أعد ذلك يومذاك.. في البداية قالت: إن تزوجت فرانكوا فلن أطلق عليك بعد الآن. ثم قالت: «حين تزوجان..» ثم بدأت تتحدث عن الأحقاد! ولأنني لم أعد أحصل المزيد استسلمت، وما كان يعجب أن أستسلم.. لم أستطع مواجهة الأمر.

- أهذا أنت في لندن؟ هل هربت؟

- لا.. بل المفترض أنني جئت لأنشري جهاز ثوب العرس.. فرانكوا هنا أيضاً لأن جده في المستشفى.. وهو يتحدث إلى الأطباء.. - والزفاف؟

- من المفترض أن يتم في الشهر القادم بهدوء بسبب صحة البارونة..

ارتجفت تريشا، وضمت يديها في حمّرها.. فاتدفعت عيناً غريبتا إلى الأنامل المديدة التي كان في كل أصبع منها خاتماً وهذا ما كانت تراه في يدها منذ عشر سنوات.. لكن الخواتم يومذاك كانت رخيصة،

ولم يكن بينها خاتم خطوبة الماسى ضخم.

تركـت تـريـشا السـافـي يـصبـقـ القـهـوةـ، ويـقـدـمـ الـبـسـكـوـتـ، ثـمـ أـشـارـتـ

لـهـ بالـاـنـصـارـافـ:

- بدـأـ قـلـقـيـ حـينـ رـحـتـ أـفـكـرـ مـلـيـاـ فـيـ الـأـمـرـ.. أـمـامـ أـرـبـعـ أـسـابـعـ فـقـطـ

قـبـلـ الزـوـاجـ وـأـرـأـيـ عـاجـزـةـ عـنـ فـعـلـ شـيـ، حـيـانـ ذـلـكـ.

لمـ يـكـنـ هـنـاكـ مـجـالـ لـلـخـطـاـ فـيـ الـيـأسـ الـذـيـ طـغـىـ عـلـىـ صـوـتهاـ،

فـقـالـتـ غـرـيـبـتـاـ لـهـ:

- مـاـذـاـ قـالـ الـبـارـوـنـ حـينـ أـخـبـرـتـهـ؟

فـيـ الـوـاقـعـ لـمـ تـكـنـ تـرـيـدـ أـنـ تـعـرـفـ، كـيـفـ تـقـبـلـ الـبـارـوـنـ فـرـانـكـوـ دـوـ

سـانـكـورـ أـمـ رـفـصـهـ.. لـكـنـهـاـ لـمـ تـسـتـطـعـ مـنـ نـفـسـهـاـ، وـكـانـ عـلـيـهـاـ أـنـ

تـسـأـلـ..

حـرـكـتـ تـرـيـشاـ قـهـوةـهاـ بـرـكـيزـ، وـقـالـتـ: «آهـ هـنـاـ المـشـكـلـةـ»:

- هـلـ سـيـقـاضـيـكـ لـكـثـكـ وـعـدـ الزـوـاجـ؟

- وـبـمـاـ

ثـمـ، وـكـانـهـاـ قـرـرـتـ أـمـراـ، وـضـعـتـ فـنـجـانـ القـهـوةـ مـنـ يـدـهـاـ ثـمـ التـفـتـ

إـلـىـ غـرـيـبـتـاـ قـيـدـتـ مـرـتـبـكـةـ، وـلـكـنـ عـازـمـةـ النـيـةـ عـلـىـ أـمـرـ ماـ:

- لـمـ أـخـبـرـهـ حتـىـ الـآنـ يـلـ لاـ أـعـرـفـ كـيـفـ أـخـبـرـهـ كـمـ أـنـ أـمـيـ

سـتـهـارـ.. لـذـاـ أـنـ يـحـاجـجـ إـلـىـ مـسـاعـدـةـ.

تـرـاجـعـتـ غـرـيـبـتـاـ لـسـتـقـيمـ فـيـ جـلـسـتـهاـ عـلـىـ المـخـمـلـ النـاعـمـ، وـقـالـتـ

بـيـطـهـ:

- أـنـتـ لـاـ تـعـنـيـتـنـيـ..

هزـتـ تـرـيـشاـ رـأسـهـاـ:

- فـرـانـكـوـ يـعـرـفـكـ، وـلـيـسـ فـيـ لـنـدـنـ مـنـ أـظـلـبـ مـنـ هـذـاـ سـواـكـ.. كـنـتـ

سـأـخـيرـ الـبـارـوـنـةـ وـلـكـنـهـاـ مـرـيـضـةـ جـداـ.. أـمـاـ مـوـاجـهـتـهـ بـنـفـسـهـ فـأـعـجزـ عـنـهاـ.

تـعـرـفـنـ ماـ هـوـ عـلـيـهـ.. سـيـقـلـنـ أـنـ لـذـكـ عـلـاـقـةـ بـالـجـرـحـ.

أحسنت غريتنا بالبرود: «المادة؟».

- أوه، هذا شأنه دائمًا.. وهو لا يتكلّم عنه لأنّه متّكّر.. ولكن حين يجلس يحدّث إلى أن يكون ذلك الجاحظ من وجهه في القلام.. ألم تلاحظي هذا؟ والمرأة الحمقاء التي تزوجها بيدرو نعمته بالوحش.. وقالت إنّها ترفض أن يظهر في صور زفافها.. قال لي فرانكو مرة إنّه سيكون لي اليوم صور زفاف يشبه اليوم «غرفة الرعب».. فهل سأمانع؟ - وماذا قلت؟

- لست واثقة.. لم أفكّر في ذلك بعد.. ولكن حين افترض الزواج، وبدأ...

ارتجفت ثانيةً وذعرت غريتنا، لأنّ تريشا فتاةٌ عمليةٌ تحرجها الواقع عادة.

- أتفصّلين حين بدأ يغازلوك؟

- بالطبع لا! إنه لا يغازل إلا صديقاته اللاتي لا يهتمّ لهن لأنّه يظنّ أنه من غير اللائق ومن المهين أن يغازل زوجة المستقبلي.

تذكري غريتنا وليتها لم تذكر البارون البارد الحالي من المشاعر العاطفية.. أكملت تريشا وقد عادت إلى شخصيتها القديمة:

- إنه يظهر روح الفروسية والشهامة.. ولكنه يبالغ في ذلك، وربما هذا ما جعلني متوترة.. لكن، حين تحدث عن الزفاف، لف ذراعاً حولي ثم أخذنا نتحدث عن الوقت الذي تعارفنا فيه وعن الدهشة التي سيظهرها بعض الأصدقاء، لأنّا لم نكن أكثر من أصدقاء من قبل.. صمتت تفكّر قليلاً ثم قالت وكأنّها تستخرج:

- ييدو الأمر خطأنا بطريقة ما.. فواحدنا لا ينتهي إلى الآخر.. طغى على صوتها فجأة الحزن:

- كنا صديقين، ولكنّا لم نخلق لبعضنا بعضاً.. أتفهمين ما أعني؟

أحسنت غريتنا أنها تلفت لفظة أخرى.. كم تود أن تذكر معرفتها

بما تحدث عنه تريشا.. لكنّها لم تكون بارعة في الكذب، وفي وجه الفتاة الإيطالية ما يشير إلى أنها تعرف البرد.. فسألت على مضض:

- أجل.. أفهمك.

ابتسمت تريشا بسماحة مشرقة، وكانتها استراحة من حمل كبير.

- إذن ستساعديني أستلهبّين إلى فرانكو لشرحـي له الأمر

ولتعيّدي إليه خاتمه؟

أبغـش الرعب عـني غـريـنا اللـوزـيـن

- لا أستطيعـاـ

لـكـنـ كـانـ يـغـمـرـ تـرـيـشاـ الـفـرـحـ الإـيجـابـيـ

- بـالـأـكـيدـ تـسـتـطـيـعـيـنـ فـهـوـ الـحلـ الـأـمـلـ.. كـنـتـ أـعـلـمـ هـذـاـ مـنـ عـلـمـتـ

أـنـكـ تـعـلـمـيـنـ فـيـ تـلـكـ الـوـكـالـةـ

رـدـتـ غـريـناـ بـقـوـةـ: «لا».

وـوـضـعـتـ الـفـنـجـانـ فـوـقـ السـطـحـ الـرـجـاجـيـ بـطـرـيـقـةـ تـعـوـزـهـ الـلـيـاقـةـ،ـ

وـلـكـنـ تـرـيـشاـ لـمـ تـصـدـقـهـاـ.. وـظـلـتـ مـدـةـ تـلـاتـ دـقـاتـ تـنـفـثـ بـدـونـ أـنـ يـقـلـ

كـاهـلـهـاـ شـيـءـ.. فـيـ الطـرـيـقـةـ الـتـيـ تـسـتـطـيـعـ فـيـهاـ غـريـناـ إـيجـادـ فـرـانـكـ.

قالـتـ غـريـناـ مـرـةـ آخـرىـ بـلـهـجـةـ يـائـسـةـ لـمـ تـسـتـطـعـ تـرـيـشاـ أـنـ تـعـاجـلـهـاـ:

ـلاـ.. فـسـالـتـ تـرـيـشاـ يـنـهـولـ.

ـ هـذـاـ دـهـاكـ؟

نظرت غريتنا إلى الصالون المزدحم.. ما من أحد ينطر إليهم وهذا

أمر غريب لأنّها تحس بأنّها كانت تصفع، وأن كلّ أحاسيسها مكتوّفة

واضحة..

غضـتـ شـفـتـهاـ وـقـالـتـ:

- اسـمـعـيـ تـرـيـشاـ.. أـنـاـ لـمـ أـرـهـ مـذـ عـهـدـ يـعـدـ.

- عـشـرـ سـنـواتـ.

- وـجـبـنـ اـفـرـقـنـاـ لـمـ يـكـنـ الـفـرـاقـ مـتـمـدـنـاـ.

- ماذا تعنين بـ «افترينا»؟ أتفوين إنك وفرانكو.. ولكنك كنت مجرد طفلة...  
- في الثامنة عشرة.

لوحٍ ترِيشا يدعا تصرف عنها الفكرة:  
- كنت مجرد طفلة. أتفوين إنك هربت بسبب فرانكو؟ ظننتك هربت مع الرجل المرعب الذي اختاره لك عمهك... ولم يدر في ذهني قط.

أدركت أنها مضطّرة الآن إلى أن تُفصح على ترِيشا كل شيء وأغضبت عبيتها.. كانت تعتقد أن ذاكرتها ضعفت عندما دفعت الذكري عميقاً ولكن تفكيرها ذلك كان غباء مطلقاً إذ لا يمكن للمرأة تبيان رجل مثل فرانكو مونتاغيو دو سانكور، أو احتقاره لها.

قالت بصوت خفيض:  
- ترِيشا.. سأخبرك شيئاً ولكن عديمي بالاتخباري أحداً به.  
- لن أخبر فرانكو.

ضحكَتْ غريباً وملءَ نفسها المرارة:  
- لم أقصد هذا. أريد أن لا تذكرِي الأمر حتى أيامِي مرةً أخرى.. أنا.. أحاول التبيان وقد نجحت معظمَ الوقت في ذلك. حركت رأسها بإشارة قيدت أشهِ بغيرها أورك الصغيرة عندما كانت في الثامنة عشرة. في ذلك الوقت كان شعرها طويلاً يكاد يصل إلى خصوها ولكنَّه كان دائماً معقوداً من الخلف بوشاح أو قطعة مطاط قديمة. غير أن جموجه البريء، كان يجعلها تبدو شعثاء دائماً كتلك الجياد الصغيرة التي كان يصطليها تلامذة ترِيشا الصغار.. وهذا الآن قد عادت المراهقة القلقة تظهر من جديد.

حدث ذلك منذ زمن بعيد.. ولكنَّ الزمن لم يمح وجه البارون دو سانكور، أو نظرات الاحتقار التي خصها بها أبو الدمار الذي أترَّبه بها

رفصها لها.

ولكن، كان هناك أكثر من هذا في تلك القصة، فراحت غريباً تُفصح على ترِيشا القصة بهدوء فاضطررتُ الأخيرة إلى أن تميل إلى الأمام للتلتفت الكلمات غير المسومة تقرباً. ولاحظت أكثر من مرة أن غريباً كانت تستفهُ جسدياً لذكريات لم تقلها.

بدأ كل شيء مع عمهها غودفري أورك، شقيق أبيها. الرجل الذي كان يسرق المؤن من الشاحنات العسكرية التي كانت تقطع الحقول. ولم يكن يلائم بالطبع هذا العم ابنه آخ مراهقة. ولكن بعد وفاة أخيه وزوجة أخيه، اضطر غودفري إلى أن يقيّد نفسه بابنة الخامسة عشرة ربيعاً غريباً التي حملها وطار بها إلى أوروبا، بعيداً عن الأذى.. وهناك تابعاً التحرك إلى فرنسا وإيطاليا وإسبانيا ثم إلى إيطاليا ثانية.

رفعت غريباً كتفيها تكمِّل:

- حسناً.. تذكريين.. كنت قد احتجلت بعيدي الثامن عشر حين وصلنا إلى رفانا وفي ذلك الوقت التقينا أنا وأنت للمرة الأولى.

هزت ترِيشا رأسها فيما أردفت غريباً:

- قام غودفري بعدها أعمال هناك.. نظف برك السباحة، خدم في المقاهي، واعتنى بإحدى الفيلات حيث التقينا. ثم التقى آيمز داوكرز. رددت ترِيشا والقولاذ في صوتها الرقيق:  
- آذكِرْ هذا.

كان آيمز داوكرز تاجر أملاك من نوع ما، ولكنه كان شخصاً مشكوكاً فيه. كان يحاول شراء الأرضي بشمن بعشر من الناس المحليين، ثم يعمد إلى بناء الفيلات، وبيعها للأجانب بأسمار باهظة وكان غودفري قد تورط معه كمفاوض. وجاء آيمز داوكرز ليقيم معهما.

حتى ذلك الوقت كان غودفري مدیناً دیناً كبيراً لرجل الأعمال

المتهور. ولكن من حسن حظه أن داوكنر لم يخف إعجابه بابنة أخي غودفري. وحدث أن سافر عماها إلى فرنسا ولكنه قال لها قبل سفره إن آيمز سيسكن معها في الفيلا لحمايتها في غيابه! ومن حمابة آيمز داوكنر هربت غريبا إلى مزرعة (كونيتسا) البارون فرانكوا متذمغياً دوسانكور.

أضافت تقول:

- غربت... هربت من الشرفة نزولاً إلى أشجار المشمش ورحت أركض وأركض... كانت «كونيتسا» قرية جداً، وكانت معتادة على زيارة البارونة.

- وهل استقلت فرانكوا؟

سألت تريشا تزيد الاستياخ. فهذا خبر جديد بالنسبة لها... تذكرت غريباً أن تخبرها بأحداث تلك الليلة ولكنها عدلت عن الفكرة قائلة.

- استقبلتني في النهاية... ولكنه ظن لسوء الحظ أنني دبرت بتفسي أمر مبيت داوكنر الليل معي... ولم يتركني أشك في ما يظنه بي... صاحت تريشا باحتجاج غريب: «لا! بالتأكيد...»

رفعت غريباً كتفها... كانت في غاية الشحوب.

- لا يهم... فقد ادخلني على أي حال. ولم يسمح لي بإيقاظ البارونة، بل تركني آنام ليلتي. ولكنني رفضت العودة إلى الفيلا، فذهب البارون لمقابلة داوكنر... وحين عاد... .

أطبقت فمها بيقة حينما تذكرت غضب فرانكوا بعد عودته من مهمته، كما تذكرت بوضوح التواء الفم الإيطالي الذي أظهر ازدراه لها، والذي أربك براءتها. توقيعه أنه يفقد سيطرته على نفسه، وينفجر عليها بالغضب ولكنك أحقن رأسه الوسيم بوقار متكبر وأعلن أنه سيستدعي عماها من فرنسا لورا... وفي اليوم التالي جاء غودفري... وأكملت بحسر:

- لكن غودفري فهم الفكرة بشكل معاكس فاتهم البارون باغواتي.  
كانت الذكرى تدفع جسدها إلى الانتفاخ خجلاً ففي ذلك اليوم نظر فرانكوا إليه باحتقار وتكبر، حتى أن غريباً التي كانت معججة سرّاً به وبعينيه الخضراء ووجهه الرشيق، وجدت نفسها ترحب في الموت.  
- غودفري شخص انتهازي فقد حاول ابتزازه قائلاً له: إذا دفعت لي قلن أتكلم بل ذكر أنه مستعد لتركى له في الكونيتسا، ليفعل بي ماشاء...

- أوه... يا إلهي... لم يكن لدى فكرة عن هذا!  
أجبت غريباً نفسها على الابتسام:  
- حسناً... لا، فأنا لم أخبرك... ولم أخبر أحداً.  
- لكن لا يمكن لفرانكوا أن يلومك... لا يمكنه! كان يعرف تماماً أنك لست سوى طفلة...  
فكرت غريباً، لكنه لم يغازلها ذلك اليوم كما لو كانت طفلة...  
وعندما رأت صدمة تريشا لم تجد حاجة إلى ذكر المزيد خاصة إلى ذكر ذلك المشهد الذي قام بينها وبين البارون، والذي بدا لها يومها أنه سيكون بداية حياتها ولكنه انقلب إلى نهاية مريرة. ومستظل ما دامت على قيد الحياة تذكر نظرة الاحتقار التي اعتلت وجهه حين تركها ذراعاه.

ولتحصر الحديث قالت: «اعطاني مالاً».  
ولكتها وجدت أن تلك الكلمات تجرّها وتقولها:  
حدقت تريشا إليها بعنوان:  
- أفعل فرانكوا هذا؟ أهو ذلك المال الذي حملته معك حينما جئت إلينا؟ وأنا الذي ظللت أشك أخذته من داوكنر.  
هزت غريباً رأسها... وقالت بمرارة تسخر من نفسها:  
- لا... بل كل ذلك أجيري. لقد دفع لي لأرحل... أترى الآن

لوالدي الذي ما إن مات حتى اضطر غودفري للتخفي وقتاً طويلاً . في الواقع أدين له لأنه مد يد المساعدة لي

نظرت إلى ساعتها :

- من الأفضل أن أعود إلى العمل ، وللسبب عينه . فقد نظر غودفري جيوبه حينما زارني آخر مرة لذا أراني بأمس الحاجة إلى راتبي هذا الأسبوع . ولا أريد أن أعطي فسخت عذر الطرد .

عبّرت تريشا : « ظننتك شريكه ! »

- ولكن الرأسمال وأسمائه ، فهو من يوقع الشيكات .

وافتت ففخرت تريشا واقفة على الفور وقالت بسرعة :

- لا تذهبين لدينا ما نتحدث عنه . . . لقد تغيرت . . . ولم أكن أظن . . . تريشا في هذه الأيام اجتماعية أكثر مما مضى ، فقد بدا أن الذعر هز هذه الإيطالية حقاً .

وهذا إحساس لم تستطع غريبتنا إلا أن تتعاطف معه . . . الخوف من البارون . ألم يعلمه الخوف منه وكان هو المعلم ؟

قالت تريشا مقطوعة الأنفاس .

- أرجوك غريبتنا . انتظري لحظة . . . أنت لا تفهمين .

ردت غريبتا غاضبة : « أرجوك ! »

وكادت تدفعها بعيداً .

كانت تعرف أن الناس يتذرون إليها وهي تهرع إلى خارج الفندق ، لكنها لم تهتم فلا يهمها إلا أن تبعد عن الماضي ، ومحنة ومتالبه المستحيلة .

\*\*\*

لماذا لا أستطيع مقابلته ؟  
كانت ذكرى الماضي الذي عاد إليها وكانت ما زالت حياً صدمة رهيبة .

نظرت إلى هذا الفندق الفخم وإلى تريشا المرتدة نياجاً متناثرة من إحدى مجلات الأزياء التي اعتادت السيدة لونديغور على إلقاء نظرة عليها ثم نظرت إلى الناس الهازجين .

قالت تريشا : « كنت في غابة الغباء . كان علي أن أعرف . . . »

هزت غريبتا رأسها تناقضها :

- كيف لك أن تعرفي مأساتي العائلية الصغيرة ؟ وأنا حاوتت جاهدة أن أخفى الأمر .

- حين جئت إلى الاستبل ، كنت هاربة من فرانكوه ؟

- كنت هاربة من كل شيء .

- ألم تتصلي بعمك لتطلب منه أن يشرح الأمر لفرانكوه ؟

- وماذا هناك للشرح ؟ هل أقول إنه كان يسلب عمالي فرانكوه بشراء قطع الأرض الصغيرة منهم بعشر قيمتها ؟ وأنه في النهاية خدع البارون أيضاً ؟

بدت الصدمة على تريشا ! « أخذته ؟ »

حاوت غريبتا أن تظهر عدم مبالاتها :

- من الواضح أن البارون أوقفه عند حده ، أو هذا ما قاله غودفري لي .

- أما زلت ترينه ؟

ضحكـت ضاحكة قصيرة لا مرح فيها :

- أوه أجل ، فمن الصعب التخلص من غودفري . . . إنه يعتبرني بولصة تأمين . وكلما احتاج إلى المال ، هبط علىي . . . وأنا مديدة له ، فهناك صفقة مشبوهة أبعدت غودفري عن إنكلترا . . . كانت الصفقة

## ٢ - وحش خلف الباب

كان فنتست يستحيط غيطاً في المكتب، لكن غريتا كادت لا تلاحظ ذلك. حينما عادت حذق إليها قاتلاً بملوم:

- تأخرت بما فيه الكفاية.. أعتقد أنك ستعملين حتى وقت متأخر الليلة للتعويض عن الساعات الضائعة؟  
رددت بصوت دهش «أجل».

لكن ردها المختصر زاد مشاعره غلياناً.

- حسناً.. أي نوع من الزبائن هي؟ هل حصلت منها على عقد؟  
نظرت إليه بفراق، فصاح بها وقد فقد السيطرة على أعصابه:  
- أنت لا تظنين أنني أعتقد أن المكتب امتداد لمنزلك.. استغرب عدم إحضارك أغراض الحياة.

رددت بصوت آت من بعيد: «أنا لا أحبك».  
كان أمره مثيراً للغرابة وفضبه مدعاه للحدن ولكنه كان في غضبه سخيناً..

- نحن ندبر عملاً هنا.. تحن مهنيون ويجب أن تصرف بمسؤولية  
وتب شيء ما إلى عقلها، فوضعت حلبة أوراقها على مكتبه  
بحذر.. وقالت له بثبات:  
- هذا صحيح في الواقع.. يسرني أنك أثرك الموضوع فنتست..  
أنا وديسموند فلغان علىك بسبب زبائك الجدد الذين تتكلم عنهم..

فهل هم مشبوهون؟  
بدأ في غاية الارتباك فكادت تضحك، ثم ضافت عباءة حتى  
أصبحتا نقطتين صغيرتين.  
قال: «لماذا تقولين هذا؟»?  
تهدت غريتا: «الآن أعرفك فنتست.. من هم؟ وما مدى  
حصتك؟».

ربما لأنك فقد توازنه، ربما لأنك كان في سره فخوراً بنفسه أخبرها وأصفت غريتا برعه متصاعد. لم يكن ما يذكره يختلف كثيراً عن مشاريع غودفري.

والأسوأ من كل هذا، أن من يحاولون شراء الأرض منها هي سيدة عجوز تتق بالناس وتتفقر إلى الحكمة. تذكرة غريتا كيف كان غودفري راضياً عن صفتها مع البارونة العجوز قبل أن يوقنه حقيدها عند حده.. وارتفع الاستهزاء في نفسها.

أظهرت اشتراكها بدون أن تتحقق كلماتها فقد فنتست بعض تباكيه وجلس غاضباً، لكنها عرفت أن كلامها أثر فيه مع أنه لن يعترف بها.

ثم قال بملوم:  
- كلمات رائعة تخرج من شخص أبغى صباغه كله في تناول القهوة مع صديقة مدرسة.

حين قابلت غريتا نظرته بثبات تذكرة وجه تريشا منهك خفارته بفظاظة وجه فنتست، ووجدت أين تكمن الأولويات عندها.. الصدق والصادقة، أم مهنة تافهة تعمل فيها عند وجل لا توجه ولا تتق به؟ تهدت.. هذا الحساسية المفرطة التي تسيطر عليها، كما يقول غودفري دائمآ، ستكون السبب في هلاكها، وهذه المرة على ما يبدو مستلبيها وظيفتها التي تعانش منها.

قالت ببرود

- ليس فقط هذا الصباح، بل سأغيب بعد الظهر كذلك. فقد طلبت  
مني أن أعييها على أمر ما. أنا مدين لها ومن عادتني أن أسدّد ديوني.  
النقطة الهاتف واتصلت:

- ماغي، اطلبي فندق «إن فواي» أرجوك؟ الآنسة موينديغو

يقع منزل دو سانكور في شارع رافي خلف أيةكشاجار كبيرة،  
تحيط به الشجيرات «المصمرة الشائكة». حالما فتحت البوابة  
الحديدية المزخرفة، اختفت ابتسامتها وخفق قلبها. للمنزل مظهر  
محب، مظهر عائلي. ولكن فرانكور ليس ودوداً أبداً. إنه  
أنيق أجل، أنيق إلى حد الإفراط، أما وجهه فيشع الذكاء منه وأمام جسمه  
فتحيل رشيق، كما أنه لطيف.. وهو قادر على أن يكون لطيفاً متى  
شاء، مع أن لطفه قد يظلم. ولكن لن يكون بينها وبينه صداقة حتى وإن  
لم تأت في مهمة قادرة.

كانت حتى جاءها الرد على رنة جرس الباب تشعر بتوتر شديد،  
ولكن عدم اللامبالاة التي رأتها على وجه المرأة التي أجيئت كان أمراً  
مماحضاً لها. أخذت المرأة اسم غريباً بدون أن تظهر أي مشاعر ثم طلبت  
منها الانتظار في الردهة ريثما تذهب لنرى ما إذا كان البارون في المنزل  
أم لا. جلس غريباً على طرف كرسي مقطفي بمقاس مطرز مرتجلة  
مضطربة. كانت أصابعها مشدودة على حقيبتها التي قيع فيها الخاتم  
الثنين.

حين عادت الفتاة الباردة، نظرت إلى غريباً باهتمام أكبر.

- لك أن تدخل.

ثم أشارت إلى باب في نهاية الردهة المرصوفة بالرخام فأحست  
غريباً وكأنها تدخل إلى غرفة إعدام، ومع ذلك تقدمت.

كانت الغرفة كبيرة، فيها غرفة خاصة بالبيانات أما بناوها

فنبيكتوري الطراز، سقفه مخروطي يمتد إلى الحديقة في الخارج. لا  
تدرك لماذا شعرت أنها ستر من المنزل رأساً إلى الخارج، حيث  
الغاية التي تحبط بالسكان. ولا تدرك لماذا شعرت أنها تسر إلى قصة  
خرافية يكتن لها فيها وحش لطيف حفود لا يعرف الصفع.

شدت قضيبتها على الحقيقة لا شعورياً وضمنتها إلى صدرها.

كان يراقبها رجل صامت ضاري المظهر عبر البيت الزجاجي  
ذلاخن حركتها، واشتافت خطوط قمه، وكانت هذه حركة فيحة  
تكشف في نور الشمس الواضح عن جانب من وجهه، فيه أثر جرح  
يتجه بوضوحية من طرف عينه حتى زاوية قمه.. إنه جرح يدفع معظم  
الناس إلى الذعر حالما يرونه للمرة الأولى. لكن غريباً لم تتعثر لأنها  
شاهدته عن كثب من قبل عدة مرات وفي إحدى المرات رأته عن قرب  
لم يصل إليه أحد من الناس.

تقدّم إلى الأمام، برشاقة وصمت.. كانت ترتجف فلا يلاحظ  
ارتفاعها. كانت نحيلة متورّة تظهر شرائين يديها المرتعشة بوضوح.  
نعميس بسرعة ولكن ما قاله كان:

- أردت رؤيتي؟

- أجل.

كانت عيناه الغريبتان تتفضلان عليها.. أحسّ بهما وكأنهما لهيب  
فازداد ارتفاعها. ولكنها لم تلتفت أن شرعت في الكلام:

- طلبت تريشا متى المعجزي.. تريشا موينديغو.

رفع رأسه.. ما زال شعره أسود كالليل، ناعماً كفراء ثعلب.

ونذكرت يائس ما أحسّ به عندما لامست يداها لهذا الشعر.

قالت على عجلة من أمرها:

- تريدا أن تعرف أنها غيرت رأيها، أعني أنها لفكت ولم تعد  
والثانية لا.. لا أعني هنا. بل أنها والثانية أن الأمر لن ينجح، وهي

لم يبره مضيفتها . ولكن عينيه المشربتين لم تفارقاها الستة . دست يدها في الحقيقة تخرج عليه المجوهرات . غير أن البارون لم ينظر إليها حتى بل تناولها من يدها بدون أن يرفع بصره عن وجهها لم يؤثر فيه تلامس يديهما مع أنه جعل غربتها تغفر وكأنها احترقت .

حرر نفسه على الفور ، ورمى العلبة على طاولة جانبية وكانتها شيء لا أهمية له ، ثم أبعد نظره بسرعة . أحس غربتها باسقها تهاران . كانت شعر شعور من خرج من عذاب مؤلم ، فسارعت للجلوس قيل أن تنهار . ولم يجد على البارون أنه لاحظ لجوءها إلى أحدى الأرائك ذات الطراز الإمبراطوري . كان عابساً ، حاجياء الرقيقان امتدا في خط مستقيم فيما شرساً وخطراً .

أثارها الصمت الطويل البارد فضلت غربتها يديها بقوه في حجرها لمنع نفسها من الارتفاع . وراحت تنظر إلى أي شيء عدا ذلك الوجه البارد المغلق ، حينما تكلم أحيراً ، كادت تغفر ايجنالا .

ولماذا أنت؟

لم يكن ينظر إليها . بل يحدق أمامه إلى النباتات الفاخرة والجدران الزجاجية . كان متظر وجهه الجانبي أنيقاً ، ولكن العرج الذي يشد شمه الجميل إلى اليسار كان يظهره مكشراً . كبحت ارتفاعها ، لتقول بيته :

- وجدت تريشا أن من الأفضل لا تقابلـ .  
ـ ضحك البارون بخشونة .

- تقصددين أنها جبنت من النساء .  
ـ أظنتها خائفة من أن تقنعها بالزواج رغمها عنها .  
ـ تذكرت جسد الفتاة الإيطالية المرتحف وجهها الأبيض حين أعطتها الخاتم .

استدار البارون بوجهها بوجه ساخر يقلد لها بوحشية :  
ـ أفنها؟ أغويتها؟ أضررها؟ لا داعي إلى أن تقولي ذلك بطريقة منقنة ، غربتا أورك . أعرف تماماً ما يقول الناس عنـي ، لكنني كنت أعتقد أن تريشا أكثر حكمة .  
ـ أدار ظهره إليها وأكمل بعثط تقريراً .  
ـ ولماذا أرسلتك أنت بحق الله؟  
ردت ببراءة : « هذا ما تساءلت عنه أنا نفسي »  
ـ أين هي الآن؟  
ـ لن تحاول رؤيتها؟ لقد وعدت .  
ـ ابتسـم ابتسامة ذئب .  
ـ هل وعدت بإيقـاتي بعيدـ عنها؟  
ـ لم تستطـع أن تواجه العينين البراقـين وأـشاحت بوجهـها ، فـاكـمل :  
ـ آه . هذا ما فعلـت . ما أـشد نهـورك!  
ـ قـلت إنـي سـأطلبـ منـك . تـريـشاـ تـعـسـةـ جـدـاـ .  
ـ هل توـسلـينـ شـهـامـتيـ؟  
ـ وـردـتـ هـامـسـةـ بـسبـبـ الـخـوفـ :  
ـ أـعـرفـ أـنـ القـضـيـةـ خـاسـرـةـ ، وـلـكـنـ دـونـ شـكـ تـكـنـ لـهـ شـعـورـاـ مـاـ فـانـتـ كـنـتـ مـقـدـماـ عـلـىـ الزـواـجـ بـهـاـ . لـذـاـلـىـ تـرـضـىـ أـنـ تـكـوـنـ نـعـسـةـ .  
ـ كـانـ يـرـاقـيـهاـ . ثـمـ ، أـخـيرـاـ هـرـ كـتـبـهـ :  
ـ لـكـنـ تـرـيـشاـ غـيرـ عـابـتـ الـبـةـ بـسـعادـتـيـ ، فـلـمـاـ أـعـبـاـ أـنـاـ .  
ـ لأنـ فـرـاتـكـوـ لـمـ يـكـنـ شـاحـباـ أوـ مـرـجـحاـ ، وـلـأـنـ رـغـمـ اـنـزـعـاجـهـ ، لـمـ يـدـ كـمـنـ يـوـاجـهـ نـهـاـيـةـ الـعـالـمـ ، وـلـأـنـ كـانـ غـربـاـ بـكـلـ مـعـنـيـ الـكـلـمـةـ ، وـأـكـثـرـ اـعـتـادـاـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـنـ تـرـيـشاـ ، قـالتـ لـهـ غـربـاـ بـثـبـتـ .  
ـ كـنـ كـرـيمـ الـأـخـلـاقـ .  
ـ حـدـجـتـهاـ العـيـانـ الـخـضـراـوـانـ ، الغـربـيـانـ ، اللـثـانـ لـمـ تـنـهـمـاـ قـطـ .

أحست بالدمع تجتمع في مآقيها.. فهربت رأسها قليلاً لأن  
فرانكو دو سانكور لا يحتاج البتة إلى شفتها، أو إلى شفقة أحد.. إنه  
يقطن في الحياة ويفعل ما يريد دون أن يهتم بمن قد يؤذيه في هذا  
السباق. قالت بجرأة لم تكن توقعاً منها:

ـ إذن، لماذا حاولت دفعها للزواج بك؟

ـ بما مذهولاً من سؤالها لحظة ثم انفلت وجهه مرة أخرى، وراح  
يُضحك.

ـ إنه القدر.

ـ لا تكون سخيناً!

ـ لكن هذا صحيح.. أنا بحاجة لزوجة، وترى أنها تريد أن تتزوج..  
هذا ما قالته لي.. كانت تعرف عائلي، وظروفي لها وجدها الزوج  
الحل الأقرب.

ـ كان يتحدث عن الموضوع وكأنه ليس سوى صفة دريمات.  
تساءلت لماذا يحتاج بعد هذه السنوات إلى زوجة.. وافتراض ساخرة  
أنه اكتشف أن له رهبات إنسانية رغم كل شيء.

ـ ولكن من الواقع أنه لم يكن يتوي تغيير نمط حياته.. فقد كانت  
ترىها بالنسبة له مجرد حل، وإن كان يعيها فلن تسمح له كرامته  
وكبرياته بالاعتراف بهذه.

ـ أشاحت بعينيها عنه وقد أرعنها أفكارها. وبدأ لها تطرف أن تعرف  
عن حياته الخاصة ما لا يعرف أنها تعرفه. قالت بمحنة: «لقد أنهيت  
مهمتى وعلى التهاب».

ـ رد بسخرية متسائلاً:

ـ وتفسلين بذلك من هذا الأمر الكريه كله؟

ـ امتنع وجهها بشدة: «هذا ليس شأنى».

ـ لا تفسيين أنك جعلته شائق بقدومك إلى هنا؟

فارتدت وكأنها تواجه حد سيف. ثم وجدت أنه يُضحك. وقال  
ساحراً: «كريم الأخلاق؟».

ـ نعم. تريشا مقتنة إنكم لن تجدا السعادة معاً لأن كل واحد  
متكملاً لا يناسب الآخر. لكن أمها لا تصنفي إليها فأنت الأمل الوحيد  
الذى يغنى لها للمساعدة. إنها تحسن..

ـ تحسن بالتجاهل؟

ـ نظرت إليه، فالتوبي فنه وأجمل:

ـ لا تنظر إلى هكذا. أنا أعرف تريشا حق المعرفة، ومع ذلك،  
كنت سأتزوجها.. لا.. لست بحاجة إلى أن تصربي لي تصرف الفتاة.  
أعرف تماماً ما تشعر به الآن.

ـ عصت شفتها وقالت بصوت متخفض:

ـ إذن أظهر بعض الشفقة عليها.

ـ انقضى فنظرت إليه وهي لا تصدق.

ـ إنها ذكية جداً لأنها أرسلتك.

ـ صمت غريباً، وأصبحت ابتسامة أكثر التواه، لكنه لم يظهر  
المزيد من السخرية بل هز كتفيه بسرعة وتقدم إليها بسرعته المعمودة.  
عندما تحدث بذا في كلامه استسلاماً:

ـ ماذا ت يريد مني أن أفعل؟

ـ العـ موعـد الرـفـاق، كـلمـ أـمـهاـ، وـسامـحـهاـ.

ـ عندما وضع يده على عـبـ العـجـرـبـةـ بدـامـهاـ، وـغـيرـ مـهـمـ تـقـرـيـاـ.

ـ حـسـنـ جـداـ.

ـ توثرت غريباً لأنها توقيت منه الغضب والتهديد لا هذا الإسلام  
الهادىءـ. فنظرت إليه عن كثب فإذا وجهه متجمد، وهادىءـ. كان ينظر  
إلى العلية المرعية دون أن يلمسهاـ. ثم، دون توقيـ، قالـ:

ـ أعتقد أن الأمر لم يكن ليتحقق يومـ.

صباح بسرعة صبيحة وقفت عليها كالصاعقة «لا!».  
اجتاز الغرفة بسرعة وكانت يريد أن يسد عليها الطريق، فارتكت  
واستدارت لا تزيد سوى الابتعاد عن وجوده المثير للاضطراب وعن  
الذكريات التي تثيرها فيها كل حركة تبدّل عنده.

كان يقف تحت أشعة الشمس وعيشه مثبتان عليها، الضوء ينير أثر  
الجرح بقصبة فيظهره بمظهر إنسان شرير حقد.  
صرّت على أسنانها، من السخافة التفكير على هذا التحوّل، ماذا  
لديه ليتنقم منه؟ وإن كان هناك من عليه أن يسوّي حساباته معه فهي عدا  
الشخص ولكنها لا تزيد ذلك، لا تزيد إثارة الماضي بل جُلّ ما ترجوه  
هو الفرار مع أقل قدر ممكن من الضرورة.

كانت عيناه في ضوء الشمس المشتركة تلمعان بعاصفة لم تفهم  
كثيرها، ولم ترغب في أن تفهمها. قال لها بسرعة، بدون أن تفارقها  
عيشه:

- على الأقل، دعني أقدم لك ما اعتدت على تناوله في مثل هذا  
الوقت.

ويجدب جرساً إلى جانبه على العائط.

- شيء كما أعتقد.. أم شيء آخر؟

لم يكن لديها وقت للرد قبل أن يفتح الباب، لتدخل منه فتاة راح  
يلقي عليها الأوامر ثم صرّفها حتى قبل أن تتمكن غربتها من الاحتجاج.  
أشار إلى الأمريكية مختلفها. ولكنها بطيئة وافتقة على حذر.

- حقاً، الأفضل أن أذهب.. يجب أن أعود إلى عملي..

دّنّتها فتراجمت ولم تجد نفسها إلا جائزة عن غير إرادة منها..  
كانت قد نسيت مدى طوله ومدى مهابته عندما يكون واقفاً.. وهذا  
بالضبط ما جعل قلبها يخفق بقوة.

ضاقت عيناه أمام تراجعها اللازاري، ولكنه لم يقل شيئاً، بل

أوه.. يا الله.. إنه غاضب إذن وهو يعتبر قدوتها طفلة.. أما  
عدم المبالغة ذاكليس إلا قناع اجتماعي قديم..  
- تريشا طلبت مني..  
- ولم تستطعني رفض طلبتها طبعاً

كيف لمطل هذا الصوت الناعم أن يكون متواضعاً نسبت حرجها،  
ونظرت إلى وجهه.. إنه يبدو غاضباً ولكنه في الوقت ذاته راضياً،  
وكانه أطعم إيماناً على جريمة كان يشك أنه قادر على حلها آيداً. حالما  
التقت عيناه عينيه الخضراءين ذعرت ولما لاحظ ذعرها التوى نغرة  
الجميل فجأة.

- لا تطفيين النظر إليّ، أليس كذلك؟  
ابتلعت ريقها بصعوبة.. لا يمكنها الإنكار بعدما فضحتها وجهها.  
رأته يلمس جرحه لا إرادياً وهي إشارة مألوفة.. فمنذ عشر سنوات،  
كان من عاداته أن يلمس الجرح كلما تأمل خصماً، ولقد كانت بالنسبة  
له خصماً في يوم من الأيام. ولكنها كانت تذكر أنه يفعل هذا وهو  
يتحدث إلى الآخرين أيضاً..  
قال البارون بنفاذ ضير.

- لا حاجة إلى أن تظهر الصدمة على وجهك فلت الوجهة التي لا  
تحب هذا الوجه.. أنا أيضاً لا أحبه كثيراً.. ولكنني مضطر للعيش  
معه.

شعرت لسبب ما لا تعرف كتبه بقليلها بخلع من مكانه كما شعرت  
بأنهما يقفنان على جرف صخري ضربته موجة عظيمة.. ونلاقتا  
العيون: عيناه مذعورتان وعيشه ساخرتان لكنها سرعان ما تعالكت  
نفسها وقالت بهدوء:

- أنا آسفة لأنني نطفلت. سأذهب حالاً. لم أفكر ملياً وظننت أنني  
أشاعدكم.

جلس على مقعد مذهب ينظر إليها، ثم قال فجأة: «مضى زمن طوبيل».

- عشر سنوات.

- أكثر بقليل.

- أجمل.. أعتقد هذا

- لم تغيرني كثيراً.

دهشت.. لقد تغيرت إلى حد قد يعجز المرء عن التعرف إليها.

هذا ما كانت تبوج لها به مرآتها، وعندما عودفري قال لها ذلك.. وتركتها

أيضاً لاحظت أنها لم تعد تلك المرأة العريضة.

ابسم فراتكو مردطاً:

- قصمت شعرك وارتدت ثياباً تاسبك.. لكن الجوهر لم

ينغير.

تركتها تبخر بدقة صافية:

- بالطبع تغيرت.. كنت كجود صغير أشعث.. وكنت تكره

منظري.

رفع حاجبيه «صحيح؟».

نظرت إليه نظرة ملؤها الكره القديم.

- طلبت من البارونة لا تسع لي بازداه البطلون التصوير في

الكونينا.

ضاقت عيناه فيها وهما ضاحكتان.

- أذكر هذا.. لكنني لا أذكر أني قلت إنني أكره منظرك.

أخفضت كتفها: «لم تكن لطيفاً معنِّي».

عاد إلى التفاس فيها مشكراً، ثم قال بيظه، وكأنه اكتشف أمراً

«لا أعتقد هذا».

- وكانت ظناً بمخالحظاتك المتعلقة بشعرى.

ضحك مرة أخرى: «أنا، ماذا قلت؟».

لذكرت بوضوح ليس فقط الإهانة، بل الظروف التي قبالت فيها،  
فاشتد ضغط يديها على مقعد الأريكة.. كانت متأكدة من ضعفك  
الرقيقة، إنه أيضاً يذكر التفاصيل.. وقال مداعياً بحدور:

- ما كان يجب أن تترك ذلك العرف طليقاً.

كانت في سيارته، في تلك العربة المدللة التي تظهر عبه وضاه  
وكان سقفها مفتوحاً فلما انعطفت بهما بسرعة طارت خصلات شعرها  
الطوبل على وجهه.. كان يومذاك، ورغماً عنه بعيدها إلى منزلها بعد  
قيامها بزيارة لجدته.. تذكر أنه في تلك اللحظة صاح بلوؤم:

«الماء لا تضفيه كما يضفيه الأطفال الذين أنت منهم؟».

أربعتها تلك الذكرى التي لا تزال حية في ذاكرتها.

- لكنني لم أقل أنتي لا أحبه.. كان يشكل فقط خطراً على قيادتي  
لماذا تصفعه؟

- على أن أكبر يوماً ما.

تجهم وجهه: «وهل كبرت حقاً بحق الله؟».

افتتح الباب فدخل منه رجل مكتنز ذو وجه ودود، يحمل  
صبية.. للوهلة الأولى لم تعرفه غربنا ولكنها لم تلبث أن حامت  
«جيولي».

انتسم لها: «سيورينا».

لكنه لم يكن مسروراً برؤيتها كما كان يسر في الأيام الخوالي.  
صب الشاي وقدمه إليها، كان لونه ذهبياً شاحباً وعطره مليئاً وكان  
مشكك في فنجان من البورسلان الفاخر؛ ذكرتها رقة البورسلان كم  
كانت خرقاً في منزل البارونة.. شرقاء لا مكان لها هناك.. وعاودها  
الإحسان نفسه.

لم يبد على البارون أنه لاحظ هذا.. فراح يحتسي الشاي بينما  
صبر حاد أخرج غربنا.. إن كان لديه موعد آخر ينوق للذهاب إليه،

فـلـمـا أـصـرـ على تـقـديـمـ الشـايـ؟

فـيـما كـانـ جـوليـوـ يـقـلـ الـبـابـ وـرـاءـ بـهـدوـهـ، قـالـ:

- بـجـبـ أـذـهـبـ بـرـعـةـ.. عـمـلـيـ.

- وـكـالـةـ الـأـمـلـاـكـ تـلـكـ؟

دـهـشـتـ. ثـمـ عـرـفـتـ أـنـ تـرـيـهاـ أـخـيرـهـ بـلـأـدـنـ شـكـ أـنـهاـ تـعـملـ  
هـنـاكـ. فـهـزـتـ رـأـسـهاـ وـسـأـلـ:

- أـتـعـمـلـينـ هـنـاكـ مـنـ زـمـنـ طـرـيـلـ؟

لـمـ تـعـجـبـهاـ الـهـجـةـ السـؤـالـ، قـرـدتـ بـبـرـودـ: «مـنـ بـعـضـ الـوقـتـ».

- أـتـعـرـفـينـ رـبـ عـمـلـكـ مـنـ زـمـنـ؟

بـاشـرـتـ الـعـمـلـ مـعـهـ قـيلـ أـنـ تـؤـسـسـ الـوـكـالـةـ.

وـضـعـتـ الـفـنـجـانـ مـنـ يـدـهـاـ، وـأـمـسـكـ بـحـقـيـقـيـتهاـ:

- شـكـرـأـ لـلـشـايـ.. يـجـبـ أـنـ.

- إـنـ، إـنـ لـيـسـ صـدـيقـأـ شـخـصـاـ لـكـ؟

- شـخـصـاـ؟

- صـدـيقـ الـعـائـلـةـ.. عـمـكـ مـثـلـ؟

لـمـ يـلـقـيـاـ طـقـ.

- لـاـ.. أـوـ لـمـ تـقـدـمـ الـواـحـدـ إـلـىـ الـآـخـرـ؟ إـنـ هوـ لـيـسـ حـيـيـكـ؟

أـنـ مدـيـرـ أـعـمـالـ؟

- وـلـمـاـ هـذـهـ الأـسـلـةـ؟ أـجـلـ أـنـاـ مدـيـرـ أـعـمـالـ.. وـقـدـ سـاعـدـتـ فـيـ

تأـسـيـسـ الـوـكـالـةـ لـذـاـ أـنـاـ وـاحـدـةـ مـنـ مـجـمـوعـةـ الـادـارـةـ.. وـهـذـاـ لـاـ يـعـنـيـ

أـنـاـ.. أـنـ فـسـتـ..

- اـتـخـذـ مـنـكـ عـشـيقـهـ؟

رـدـتـ بـبـرـودـ:

- هـذـهـ عـبـارـةـ عـقـاـ عـلـيـهاـ الزـمـنـ ثـمـ إـنـ الـأـمـرـ لـاـ يـعـنـيـكـ، كـمـاـ أـنـ

شـؤـونـكـ لـاـ يـعـنـيـكـ.. لـقـدـ اـعـتـدـتـ لـكـ عـنـ هـذـاـ، فـمـاـ أـسـطـعـ أـكـثـرـ؟

كانـ تـعـبـرـ وـجـهـاـ مـنـقـسـمـاـ بـيـنـ السـخـطـ وـالـرـجـاءـ. فـضـحـكـ، وـقـالـ:  
بعـدـ تـفـكـيرـ:

- سـمـعـتـكـ حـسـنـاـ، لـمـ لـاـ؟ فـلـتـبـرـهـنـ ذـلـكـ.

- لـمـ أـقـصـدـ هـذـاـ..

تجـاـهـلـ اـحـجـاجـهـاـ:

- تـنـاوـلـيـ بـرـفـقـتـيـ العـشـاءـ اللـيـلـةـ، لـدـيـنـاـ مـاـ تـحـدـدـتـ عـنـهـ.

أـرـجـعـتـ قـلـبـاـ، لـكـنـهـارـدـتـ بـحـدـهـ:

- أـوـهـ.. لـاـ.. لـبـسـ لـدـيـنـاـ شـيـئـ.

- وـلـكـنـ لـمـ تـشـرـحـيـ حـتـىـ الـآنـ السـبـبـ الـذـيـ دـفـعـ تـرـيـشاـ إـلـىـ إـرـسـالـكـ  
أـنـتـ لـاـجـرـاءـ صـفـقـةـ الـمـفـاـوـضـاتـ الـدـقـيـقـةـ كـمـاـ أـنـتـ لـمـ أـعـطـكـ رـدـاـ تـحـمـلـهـ

إـلـيـهـاـ.

نـظـرـتـ إـلـيـهـ بـرـيـةـ، ثـمـ نـظـرـتـ عـنـ قـصـدـ إـلـىـ الـعـلـبةـ الـبـرـاقـةـ عـلـىـ

الـطاـوـلـةـ خـلـفـهـ:

- لـأـرـىـ أـنـ الرـهـ ضـرـوريـ.

- أـلـاـ تـرـيـنـ هـذـاـ؟ وـلـكـنـيـ مـاـكـدـ أـنـ تـرـيـشاـ تـخـشـيـ أـنـ تـبـرـهـ فـضـيـحةـ، أـمـاـ

أـنـاـ فـلاـ تـهـمـنـيـ الـفـضـيـحـ لـأـنـ مـرـتـ بـحـيـاتـيـ فـضـيـحـةـ كـثـيرـ.

كـانـ يـعـرـرـ إـصـبـعـهـ عـلـىـ جـرـحـهـ، وـكـانـ يـتـحسـ حـدـ خـتـمـرـ. بـرـتـ

أـمـاـهـاـ مـرـةـ أـخـرـىـ صـورـةـ حـيـةـ رـأـتـهـ مـنـ دـلـلـ شـرـسـنـاتـ، وـكـانـ مـذـهـلـهـ فـيـ

حـدـتـهـاـ.. كـانـ يـوـمـذـاـكـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ بـهـدوـهـ، يـقـومـهـاـ، وـكـانـهـ عـدـوـهـ لـهـ. ثـمـ

فـالـشـارـحـاـ.

- لـكـنـيـ مـسـتـعـدـ أـنـ أـكـونـ شـهـيـداـ خـاصـةـ إـذـاـ مـاـ أـقـعـنـيـ أـحـدـ.

كـانـ فـيـ عـيـنـهـ حـلـمـ أـوـ دـلـلـلـ كـاـبـوـسـ.. وـلـمـ يـدـهـشـهـ هـذـاـ، اـبـسـ

لـهـ اـبـسـامـةـ سـاحـرـةـ وـقـالـ:

- تـنـاوـلـيـ بـرـفـقـتـيـ العـشـاءـ اللـيـلـةـ، وـأـقـعـنـيـ؟

### ٣ - عنديها تزغرد المشاعر

لم تتمكن غربنا من الصمود أمام القضاة والقدر فارتدىت ملابس  
السهرة بعناية فاقعة استعداداً للخروج مع البارون. عندما انتهت كان  
سريرها قد امتلا بالثياب المرفوضة، وكانت قد أعادت ترتيب شعرها  
للمرة العاشرة، أو يزيد.

لم تجزر إلى أين سيسجّبها للعشاء، ففي رفانا لم يخرج معها  
قط. وحسب الشائعات المتداولة في ذاك الوقت لم يكن قد شوهد أبداً  
يتعشى مع أحد في مطعم من مطاعم المنطقة. كان يتناول طعامه في  
الكتيبة، متجمباًظهور العام، حتى في أقصى الأماكن.

ذكرت في أنه لن يصحبها طبعاً إلا إلى مطعم أنيق لذا أغترت  
خرائتها بمحاجة عن الذوق السليم، واتجهت بها الأمر إلى نتيجة لم ترضها.  
ارتدىت بدلة حريرية شاحبة اللون وبلوزة جيدة هي الوحيدة لدبها.  
كانت من الساتان المعززين بالرسوم العلومن بلون الرمان الناضج.. كانت  
الثياب تعكس لون شعرها اللامع، وقد أبرز اللون الراهن جميع الألوان  
التحاسية فيه. هزت رأسها وهي تنظر إلى المرأة. منافية للذوق؟ لا...  
إنها توهج كنار الخريف.. ولم يكن هذا يسبب اللون بل وجهها كله  
انقلب حيا.

حاولت تلطيف وجهها بشيء من الماكياج، أكثر مما تستخدمه  
عادة ولكن لم يجد ذلك نفعاً.

نظر إليها طيفها في المرأة فإذا العينان الدمعجاوأن تلمعن الفعالة  
وإذا الشعر الناعم الممسد إلى الأعلى رائع ووضع قرطاً من «الترياز»  
المتمدد الألوان، ألمها أن يظهرها أكثر أناقة. ولكنها لم تستطع القيام  
 بشيء للون وجنتيها الرقيق أو لإشراقه عينها.. وما استطاعت كذلك  
 التخفيف من ارتجاف شفتيها المغري.

انحنت أكثر نحو المرأة.. في الواقع هذا الشر ينضجها تماماً.  
مسحت اللمعان الذي وضعه على شفتيها ولكن هذا لم يؤثر بل تركهما  
أشد أحمراراً من قبل.

وهكذا انطلقت متزعجة.

كانت قد رفقت السماح للبارون بمرافقتها إلى منزلها لاصطحابها  
ذلك أنها أحسست بضرورة إخفاء عنوانها عنه، وتوقعت منه المقاومة  
ولكنه لم يفعل. وهذا هي الآن تنطلق إلى منزله.

كانت متأخرة قليلاً ومع ذلك راحت تتأني فهي لا ترغب في  
الوصول إلى هدفها بسرعة، وهذا غير عادي بالنسبة لها لأنها دائماً  
دقيقة بمواعيدها.. ولكن هذا لن يقلق البارون، فالقليل بشأن الوقت  
ليس صفة من صفات الإيطاليين وهذا أمر كانت تراه واضحاً عند  
البارونة.

لذلك دهشت حين فتح البارون لها الباب بنفسه حتى قبل أن تقع  
الجرس، وكاد يصطدم بها.

- أين كنت؟ هل أصابك مكرر، أو ضللت الطريق؟

نظرت إلى ساعتها يحيث:

- بل أسلأك احتساب الوقت.

- ستتأخر قليلاً، إنما لا أهمية للأمر.. هنا بابا الآن!

و قبل أن يتركها تضع قدمها على عتبة الدار أعادها إلى الطريق أمام  
المنزل حيث وقفت سيارة فخمة.. فنظرت غربنا إليها ومشاعرها

أدار رأسه إليها، وهو يمدد ساقيه بعيداً عنه، ونظر إليها بكل  
ـ تعتقدين أنك تعرفيتني بعم المعرفة، غربتها الصغيرة؟  
لم يكن قد ناداها بغيرها الصغيرة بمثل هذه اللهجة من قبل، ولا  
منذ عشر سنوات حتى. فاستقامت في جلستها لتقول:  
ـ أنا لا أعرفك أبداً.. ولا أريد أن أعرفك.. إلى أين تذهب؟  
ضحك بهدوء ولكنه أبجح: «أتذكري من ادغار وجانت؟»  
انقضت.. كان زوجان شابان يديرون فندقاً صغيراً في أحد  
المجتمعات وكان أدغار قد استخدمها للعمل في المقهى في وقت من  
الأوقات.. وكان هو أول من حلزراها من المشاكل التي سيرمي غودفري  
فيها نفسه إن نجح في الاحتياط على البارون دو سانكور.. في تلك  
ال أيام لم تفهم ما كان يقول..

أردف البارون: «أرى أنك تذكرتهما».  
أنسنت كثفيها إلى المقعد الجلدي الفخم وقالت: «طبعاً».  
ـ حسناً، لقد عادا إلى إنكلترا منذ ستين.. وهما يديرون نُزلاً ريفياً  
قرب التهر.

سألت بأدب: «وهل أعمالهما ناجحة؟»  
ـ جداً.. فهم يقولان إن مطعمهما محجوز دائماً وقد أصبحا  
مشهورين..  
ـ إذن كيف حجزت طاولة في مدة قصيرة؟ هل السبب هو شهرتك  
ونفوذك مرة أخرى؟  
ـ هر رأسه الأدك ضاحكاً:  
ـ لقد استمرت بعض ملي في أسميه.. لذلك يؤمنان لي دائماً  
مكاناً.

تمتمت: «وما الجديد في هذا؟»  
التفت إليها يدس ذراعه فوق المقعد خلفها وقال بصوت خال من

مشوشة.. من الواضح أن البارون لا ينوي أن يقود السيارة بنفسه..  
لذلك فالحدث الخاص في السيارة مستحبيل.

ابتسم لها جولييو من فوق كتفه في الوقت الذي راح فيه البارون  
يساعدها على الصعود. عندما استوى إلى مقعده أخذ يلقي على ساقته  
تعليمات.. شاهدت غربتها جولييو يطرق برأمه، ثم يصعد إلى السيارة،  
وما هي إلا ثوان حتى انطلقت بهم السيارة بين لزحاج السير في شوارع  
لندن، ثم إلى خارجها، ياتجاه منصب الشخص على الطريق الدولي.

نظرت غربتها إلى الرجل الجالس قريباً فرأته هائلاً بالا.. ولكن  
 شيئاً ما، لم تعرفه أبداً بأنه متورٌ وكان محظة ما ستواجهه. ارتاحت  
عنيفة أن يتوصل إليها لطلب من تريشا أن تغير رأيها، ولكن نظرية  
واحدة إلى ذلك الوجه العنيفة جعلتها تعكس الفكرة. فهذا ليس برجل  
يتوصل، حتى وإن كانت سعادته على المحك.

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت أول ما يدر إلى ذهنها:  
ـ إلى أين نحن ذاهيان؟  
ـ نظر إليها:

ـ كنت أتساءل متى ستسألين، فربما أقوم بخطفك وأفرج بك إلى  
إيطاليا.  
ابتسمت غربتها، فهذا هو نوع المزاج الذي تستطيع التعامل معه..  
ـ وقالت:

ـ هذا إن لم نكن ذاهبين إلى هناك عبر طريق آخر.  
ـ آه.. تملكتين حساً لمعرفة الاتجاهات.. وهذا أمر نادر الوجود  
في النساء.

ـ بامتناعي قراءة اللوحات على الطريق.  
ـ إذن، فأنا لم أكتشف أول قارئة خرانت في التاريخ!  
ـ هذا تعجب.. فالنساء بارعات كالرجال تماماً..

الغضب ولكن ملاه الضغول.

- كنت تعترضين حتى في ذلك الوقت على ما يندهم لي الناس من خدمات، فلماذا؟  
واجهتني مباشرةً لأنه لا يمكنها أن تذكر قوله فالامر صحيح.. ولد الحق في رد.

قالت بيضاء: «أعتقد أن السبب هو أنك تتوقع دائمًا أن يقدم لك الآخرون ذلك.. ولم تضطر يوماً إلى أن تجرب..»

لمع عيناه الغريبتان، باللون خضراء وصفراء وهز رأسه:  
- أنت محقـة.. لا تعرفيـني جيدـاً.. فـانا لم أـجـرب.. كما  
تـقولـين.. لم أـجـرب جـاهـداً كما فعلـتـ في ذلك الصيف اللـعنـ.  
صـمتـ وأـدارـ وجهـهـ عنهاـ. كـانـتـ تـحسـ بـتوـرـهـ وـكانـ شـخصـ ثـالـثـ  
معـهـماـ.. أـخـيرـاً ضـحـكـ وهـزـ كـفـيهـ:

- حـسـناً.. كانـ هـذـاـ مـنـ زـمـنـ بـعـيدـ.. أـخـيرـيـ ماـذاـ كـنـتـ تـعـلـمـينـ فـيـ  
هـذـهـ الفـتـرةـ؟

اختصرتـ غـرـيـباـ وـصـفـ ماـ مـرـ بهاـ اـبـدـاءـ منـ الـصـرـاعـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ  
المـؤـهـلـاتـ الـمـنـاسـبـةـ فـيـ سـبـيلـ عـمـلـ لـاتـ وـصـوـلـاـ إـلـىـ الدـرـوسـ الـلـبـلـيـةـ  
الـمـتأـخـرـةـ وـالـمـعـرـكـةـ الـمـتـوـاـصـلـةـ ضـدـ الـفـقـرـ وـانتـهـاءـ بـالـشـقـةـ الـتـيـ تـسـكـنـ  
فـيـهـاـ الـآنـ وـحـدـهـاـ دـوـنـ نـاـ زـمـلـاـتـ يـسـتـخـدـمـنـ المـاءـ السـاخـنـ كـلـهـ، أوـ يـعـدـنـ  
بـصـحـيجـ صـاحـبـ فـيـ الثـالـثـةـ صـبـاحـاـ. ضـحـكـ فـرـانـكـ لـلـذـكـرـياتـ وـأـمـنـ  
التـكـبـيرـ فـيـ مـاـ يـذـكـرـهـ مـنـ جـهـودـ لـلـتـعـرـيـضـ عـلـىـ نـفـسـهـ عـنـ مـوـاتـ نـرـكـ  
الـتـعـلـيمـ. ثـمـ عـلـقـ:

- منـ الواـضـعـ أـنـ لـكـ إـرـادـةـ قـوـيةـ.  
ضـحـكتـ: «لاـ أـحـبـ الـهـرـبـةـ».

- أـرـىـ ذـلـكـ يـوـضـوـجـ. أـيـعـنـيـ هـذـاـ أـنـكـ طـمـوـحةـ؟ طـمـوـحةـ مـهـنـاـ؟  
- أـرـيدـ عـمـلاـ جـيدـاـ. وـلـاـ أـهـمـ مـاـ إـذـاـ اـتـهـيـ بـيـ الـأـمـرـ وـصـورـتـيـ فـيـ

المجلـاتـ وـاسـعـيـ فـيـ الصـفـحـاتـ الـأـوـلـىـ.

هزـ فـرـانـكـ رـأـسـهـ بـسـرـعـةـ:

- أـنـهـمـ هـذـاـ تـامـاـ. فـنـحنـ تـشـابـهـ فـيـ هـذـهـ النـقطـةـ فـاـنـ أـحـبـ دـائـمـاـ أـنـ  
أـنـهـيـ مـاـ بـدـأـهـ.

الـتـفـتـ إـلـيـهـ بـسـرـعـةـ وـلـكـهـ كـانـ يـنـظـرـ أـمـامـهـ وـفـمـهـ مـشـدـودـ، فـلـمـ يـدـ أـنـ  
لـكـلـمـاتـهـ مـعـانـيـ خـفـيـةـ.

- إـذـنـ أـنـتـ سـعـيـدةـ حـيـثـ تـعـلـمـينـ؟ وـلـكـنـهـ لـيـسـ وـكـالـةـ كـبـيـرـةـ؟

عـضـتـ شـفـتـهـ:

- لـاـ أـفـكـرـ فـيـ وـكـالـةـ أـكـبـرـ مـنـهـاـ بـلـ فـيـ مـاـ هـوـ أـفـضلـ.

ارـتفـعـ حـاجـاءـ الرـفـيعـانـ، فـسـارـعـتـ تـقـولـ وـكـأـنـاـ لـنـفـسـهـ:

- لـكـنـ بـعـضـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ يـقـومـ بـهـاـ فـتـسـتـ لـاـ تـعـجـبـنـيـ كـمـاـ لـاـ  
تـعـجـبـنـيـ الطـرـيقـةـ الـتـيـ يـسـتـخـدـمـهـاـ لـتـفـيـذـ بـعـضـ الـمـشـارـيـعـ.

نـظرـ إـلـيـهـ فـرـانـكـ بـعـدـهـ لـكـنـ مـاـ قـالـهـ كـانـ: «هـذـاـ صـبـعـ».

الـتـفـتـ إـلـيـهـ: «وـأـنـتـ سـبـورـ مـاـذـاـ فـعـلـتـ مـذـ لـقـاتـاـ الـأـخـيـرـ؟

نـتـمـ بـسـخـرـيـةـ: «سـيـئـرـ».

لـكـنـهـ سـعـحـ لـنـفـسـهـ بـأـنـ يـقـشـ لـهـ ذـكـرـيـاتـهـ مـعـ أـنـ مـلـامـحـهـ وـكـلـمـاتـهـ  
كـاتـ جـادـهـ وـصـارـمـةـ حـيـنـ ذـكـرـ أـخـاهـ.

- كـانـ الـحـادـثـ صـدـمةـ لـلـأـجـمـعـاـ. لـمـ يـسـتـعـدـ وـالـدـاـ جـوـاتـ عـافـيـتـهـاـ  
حـقـاـلـاـ أـخـلـقـتـ الصـيـيـ. لـكـنـ..

- لـكـنـ مـاـذـاـ؟

كـانـ السـيـارـةـ تـسـيرـ وـسـطـ حـقولـ مـنـتـدـةـ تـلـمـعـ تـحـتـ نـورـ السـاءـ  
وـكـانـهـ غـطـاءـ مـتـعـدـ الـأـلوـانـ فـيـ إـنـظـارـ أـخـضرـ لـاـ يـتـهـيـ.. كـانـ الـمـنـظـرـ  
جـيـلـاـ بـعـيـثـ أـحـسـ غـرـيـباـ بـأـنـهـ غـيـرـ وـاقـعـيـ وـيـأـنـهـمـ يـسـافـرـانـ عـرـبـ الزـمـنـ  
وـالـفـضـاءـ، إـلـىـ حـيـثـ يـمـكـنـهـمـ الـأـلـتـنـاءـ كـتـنـيـنـ دـوـنـ ظـلـالـ الـمـاضـيـ أوـ  
الـمـسـتـقـلـ الـذـيـ يـهـزـ ثـقـهـمـ بـنـفـسـهـمـ.

هـ: كتبه بشكل معبر . وقال  
ـ هذا في الواقع لا يحل المشكلة . فالعكس لا يطبق رؤية  
وجهي .

أحسب بصفتها: أعاده .  
كانت صحفته خاتمة: الآخر لا يدعو للتغارة . فهو لم يكن يدخل  
من المراقبة ولم يتمتنع بعد إخفاء مساعده .  
سألت متأثرة :  
ـ أنت مخطئ؟

أدبر فرانكو وجهه ينظر إلى مناظر الطبيعة الرائعة وقال مكتباً:  
ـ لا .  
ـ ولكنه صغير السن وسيعتاد .  
فاطعها البارون بهدوء :

ـ غربنا . إنه لا يطبق رؤيتي . يشيخ بصره إلى السقف ، النافذة ،  
الطبق أمامه . وحيثما أدخل غرفة ما ، يغادرها في أسرع وقت ممكن .  
وإذا أرسلت بطلبه ، ظهرت عليه بوادر الشتم .  
مدت يدها باندفاع غريزي لتخمس أصابعه المتوترة على ركبته  
فانقضضن . أمررت تبعدها فوراً ، وأكملا مثاقلاً :

ـ أحياول أن أتحبه ، طبعاً . فلا فائدة من تعذيب الولد المسكين .  
لكنني اضطر أحياناً للذهاب إلى المزرعة وأجد أن من العسير تدبير  
زيارة يقوم بها إلى مكان آخر أثناء وجودي .  
تطلعت غربنا إلى صورته الجانية التشبه بالصقر . وقالت بلهجة  
عااجزة :

ـ أنا آسفه .  
عندما هر كتبه نظرت إلى وجهه الذي بدا غامضاً . كانت النوبة

في الجهة الأخرى فأدركت أنه قبل الإصابة كان وسيماً بشكل مذهل .  
وهذا ما لم تفك فيقه . ونظرت إليه مسحورة وكانت لاول مرة ،  
تكتشف روعة تكوينه خديه وسحر تجويف عينيه ورقه الفم الرائع . إنه  
وجه يعود مظهراً إلى القرن السادس عشر . وجه لأمير بحار منتشف ،  
عالم ، أو وجه لعالم وشاعر . ومحب؟  
ابتلمت غربنا بيقها ، مسروبة لأن البارون لا ينظر إليها . وطفقت  
رعنقة حارة تسري في بشرتها ، فغيرت جلسها بقلق ، فيما كانت  
السيارة تتطفى لتخرج عن الطريق العام .  
ظلاً بعد ذلك صامتين حتى وصلا إلى وجهتها . حين دخلوا  
الطريق الداخلية ، حبس غربنا أنفاسها بابهاج صريح . وقال لها  
البارون :

ـ كان قصراً يعود إلى العهد الأدواردي . ولكنك كان خراباً حينما  
وتجده ادخار ، مع أن الزجاج كله لحسن الحظ كان سليماً . أظن أن ما  
رُسم منه سيعجبك .

كان في الخارج سيارتان فخمتان فيها سائقان متظلان . ياب  
المدخل مضاءً ومفتوحةً ولكن فرانكو تجاهله ، وقادها عبر مصر يظلله  
اليامين وحين توافقاً حبس غربنا أنفاسها .  
فقال برضى هادئه : «نعم؟» .

كانت الأمسية رائعة ، إنها تلك الساعة الرمادية بين المغرب  
والليل ، حين يكون الهواء حاداً باريج الأزهار ، حيث تظهر البرิilarات  
المضيئة . كان هناك ثلاث مرجات ، كل واحدة متخصصة بعض الشيء  
عن الأخرى . ففي المرجة السفلية طاولات حديدية مشغولة يدوياً يسمع  
منها هممها لطيفة .

لامس فرانكو مرفقها ، مشيراً إلى مصر دكسو بالطبع يقودهما  
إلى مكان بعيد عن المنزل . تنهدت وهي تشعر بأنها في حلم ولم تستطع

ـ وإن صمت طويلاً.. وازدادت العتمة خلفهما. كانت أحاديث الآخرين فوق المرجات قد تلاشت إلى ما يشبه الهممـة. أخيراً سأله بصوت غريب: «سجين؟»

ـ مجرد تعبر كلامي.

ـ انتـم: «أجل... أفهم هذا ولكنك لا تسمحـن لنفسك عادة بأن تتصـرـفـي بـعـفـوـيـةـ».

ـ هـزـتـ رـأسـهـاـ نـهـادـيـ الشـعـرـ الـحـرـبـيـ حـولـ وجـهـهاـ:

ـ لا... فـهـذـاـ اـسـرـافـ فيـ الرـفـاهـيـةـ.

ـ وـانـ الصـمـتـ العـادـ منـ جـدـيدـ. كانـ كـمـنـ تـلـقـيـ كـلـمـاتـ تـدـورـ وـتـدـورـ

ـ فيـ رـاسـهـ نـمـ قـالـ:

ـ أـظـلـكـ تـغـيرـتـ أـكـثـرـ مـعـاظـنـتـ

ـ تـحـركـتـ تـرـيدـ أـنـ تـصـدـاءـ، وـفـيـ الـوقـتـ تـفـسـهـ تـرـيدـ أـنـ تـوـقـفـهـ عـنـ

ـ حـدـهـ، لـكـنـ الرـغـبـيـنـ الـمـنـتـاقـضـيـنـ سـرـعـانـ مـاـ تـوـقـتـاـ حـالـمـاـ عـادـ السـاقـيـ

ـ الـذـيـ قـالـ إـنـ مـائـةـ الـعشـاءـ جـاهـزـ مـنـ شـاءـ تـاـولـ الـطـعـامـ.

ـ رـسـىـ فـرـاكـوـ سـيـكارـهـ، ثـمـ قـدـمـ إـلـيـهـ يـدـهـ بـحـرـكـةـ وـقـوـرـ لـهـ مـغـازـهـاـ

ـ الـمـشـرـفـ. أـمـسـكـتـهـاـ عـلـىـ مـضـضـ قـبـلـ أـنـ يـسـرـاـ فـيـ سـرـ مـظـلـمـ وـكـائـنـهـماـ

ـ عـاـشـقـانـ. كـانـ الـمـطـلـعـ فـيـ مـكـانـ يـنـوـ أـنـ كـانـ فـيـ الـأـصـلـ قـاعـةـ اـسـتـقبالـ

ـ الـعـائـلـةـ الـاـدـوارـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـمـلـكـهـ. وـكـانـ هـنـاـ المـرـيدـ مـنـ النـاسـ أـمـاـ

ـ الـأـصـوـاتـ فـكـاتـ أـعـلـىـ مـنـ تـلـكـ. تـنـطـلـتـ غـرـبـيـاـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـكـانـ الـذـيـ لـمـ

ـ يـحـدـتـ قـطـ أـنـ وـقـعـتـ قـدـمـاهـاـ مـثـلـهـ. فـيـ أـحـدـ أـطـرـافـ الـغـرـفـةـ كـانـ هـنـاكـ

ـ مـجـمـوعـةـ كـبـيرـةـ، الرـجـالـ مـرـتـدـونـ سـنـرـاتـ السـهـرـةـ، وـالـنـسـاءـ مـرـتـدـياتـ

ـ الـحـرـبـيـةـ وـمـحـلـيـاتـ بـالـجـواـهـرـ. وـفـيـ زـاوـيـةـ مـنـزـوـيـةـ، شـاهـدـتـ وـجـهـاـ

ـ مـأـلـوـفـاـ شـهـيـراـ، تـعـرـفـهـ مـنـ شـاشـةـ التـلـفـزيـونـ. كـانـ فـيـ كـلـ آرـجـاءـ هـذـاـ

ـ الـمـكـانـ جـوـ منـ الـأـنـاقـةـ الـعـفـوـيـةـ وـالـتـرـفـ وـالـذـاجـ. وـأـخـسـتـ بـالـابـسـامـةـ

ـ تـرـفعـ إـلـىـ ثـقـرـهـاـ وـهـيـ تـبـعـ السـاقـيـ إـلـىـ طـاـولـهـماـ. فـقـالـ لـهـ الـبـارـوـنـ:

ـ إـلـاـ أـنـ تـسـتـلـمـ لـسـحـرـ الـمـكـانـ. أـجـلـهـمـاـ سـاقـ مـتـحـفـظـ عـلـىـ مـقـدـ

ـ مـصـنـوعـ مـنـ أـغـصـانـ الشـجـرـ تـحـتـ أـيـكـةـ مـنـ شـجـرـ الـصـفـصـافـ ثـمـ حـمـلـ

ـ إـلـيـهـمـاـ الـشـرـابـ وـالـخـبـرـ الـمـحـمـصـ أـمـاـ هـمـاـ فـكـانـ يـلـقـيـانـ نـظـرـةـ عـلـىـ لـاتـحةـ

ـ طـعـامـ بـحـجمـ حـلـكـ مـلـكـيـ مـنـ الـعـصـورـ الـوـسـطـيـ

ـ يـعـدـ أـنـ اـخـتـارـاـ مـاـ يـرـيدـانـ تـرـاجـعـ السـاقـيـ مـتـحـبـيـاـ، أـمـاـ الـبـارـوـنـ فـأـشـعـلـ

ـ سـيـكارـاـ رـفـيـعاـ، مـتـجـاهـلـ الـطـعـامـ، مـعـ أـنـ غـرـبـيـاـ قـضـيـتـ قـطـعـةـ مـنـ فـطـانـ

ـ الـجـينـ الصـغـيـرـةـ. سـحـبـ فـرـاكـوـ نـفـساـ عـيـقاـ مـنـ سـيـكارـهـ، ثـمـ أـطـلقـ

ـ الدـخـانـ فـيـ الـهـوـاءـ فـوـقـ رـأـيـهـ. فـضـافـ الدـخـانـ فـوـقـهـمـاـ فـيـ الـهـوـاءـ النـفـيـ

ـ وـلـكـنـ رـاتـحـتـ الـمـارـةـ ذـكـرـتـ غـرـبـيـاـ بـالـكـوـنـسـتاـ. وـبـوـانـجـةـ مـكـتبـهـ الـغـامـضـةـ:

ـ جـلدـ، دـخـانـ حـطـبـ، وـالـقـلـيلـ مـنـ دـخـانـ سـيـكارـهـ.. شـعـرـتـ رـغـماـ عـنـهـاـ

ـ وـرـغـمـ رـوـعةـ الـمـنـظـرـ بـالـتـوـتـ فـنـظـرـ إـلـيـهـ يـسـرـعـةـ: «تـشـمـرـيـنـ بـالـبـرـدـ؟ـ

ـ هـزـتـ رـأسـهـ نـفـيـاـ، فـقـالـ يـاصـرـارـ: «هـلـ تـدـخـلـ؟ـ

ـ لـاـ.

ـ أـبـدـعـتـ شـبـعـ السـنـوـاتـ الـعـشـرـ الـمـاضـيـةـ عـنـهـاـ وـابـسـمـتـ لـهـ غـرـقـعـ

ـ حـاجـيـهـ.. قـالـ لـهـ:

ـ الـمـكـانـ أـجـمـلـ مـنـ أـنـ تـرـكـهـ وـنـدـخـلـ.

ـ لـاحـقـتـ عـيـنـاهـ إـشـارـتـهـ إـلـىـ الـحـدـيـقـةـ السـاحـرـةـ، وـالـسـاقـيـةـ الصـغـيـرـةـ،

ـ فـإـذـاـ هـمـاـ قـاتـمـتـانـ فـيـ عـتـمـةـ الـفـسـقـ. رـفـعـتـ رـأسـهـ إـلـىـ الـوـرـاءـ، تـنـظـرـ إـلـىـ

ـ السـمـاءـ الـتـيـ يـدـتـ يـعـيـدـةـ مـرـصـعـةـ بـالـأـلـافـ الـأـلـمـاسـ الـمـشـعـةـ. قـالـتـ بـيـطـهـ:

ـ أـعـلـمـ. أـحـسـ وـكـانـتـاـ خـارـجـ الـزـمـنـ.. أـفـهـمـ مـاـ أـهـنـيـ؟ـ

ـ سـحـبـ نـفـساـ أـخـرـ مـنـ سـيـكارـتـهـ، ثـمـ قـالـ:

ـ لـسـتـ وـائـقـاـ.. اـشـرـحـيـ لـيـ.

ـ أـشـعـرـ وـكـائـنـيـ أـنـظـرـ عـبـرـ تـلـسـكـوبـ إـلـىـ عـالـمـ سـحـرـيـ بـلـ أـشـعـرـ

ـ وـكـائـنـيـ خـرـجـتـ لـلـتوـ مـنـ سـجـنـ وـأـعـطـيـتـ تـرـحـيـصـاـ لـأـقـلـ تـلـقـائـاـ كـلـ مـاـ

ـ أـرـيدـ.

- أنت تضحكين  
هزت رأسها نافحة ، فأخذت نظر إليها كالمسحور . كان شعرها رغم  
بساطة ثيابها يشع كجواهره . وكانت الشموع فوق التماثس الأرض  
الناصع تتعكس في أعماق عينيها التوزيتين . بدلت مستغربة عابنة  
ماكرة قبلاً:

- لنفسى فقط .
- لماذا؟

ازدادت ابتسامتها :

- متلعين إلى حفل الرقص . - ستدريلا .  
أطبق الحاجبان الرقيقان معاً .  
- أنت لست كستدريلا ، لا تحظى من قدر نفسك .  
ضحكـت غربـتا ثانية بـسعادة ، ثم قـالت بـحزـمـ :  
- بل أنا سـتـدرـيلـا ، في رـحلـة إـلـى القـمرـ وأـرـاني أحـبـ كلـ لـحظـةـ منـ  
هـذـهـ الرـحلـةـ . - قـلـاـ تـقـسـدـ عـلـيـ وـهـيـ .  
انـجـنـ قـلـيلـاـ سـخـرـيةـ ، وـقـالـ باـسـتـرـخـاءـ .  
- حـسـنـ جـداـ . - سـتـعـيشـ اللـيلـةـ فـيـ الـخـرـافـاتـ .

بعد ذلك ، النطلق يسحرها ويفتنها بفتنة ملموسة ، جريمة ، وأيـقةـ  
قادـتـ تـدـفعـهاـ إـلـىـ شـرـكـ منـ خـيوـطـ عـنـكـبـوتـ دـافـةـ .  
حظـياـ يـطاـولـةـ مـسـتـرـةـ عنـ العـيـونـ فـيـ زـاوـيـةـ قـرـبـ أـبـوابـ زـجاجـيةـ ،  
مـفـتوـحةـ عـلـىـ الشـرـفةـ حـيـثـ اللـيلـ العـابـقـ بـالـأـرـبـيعـ العـطـرـ ، أـربعـ الـيـاسـينـ  
وـالـوـرـدـ .ـ منـ خـلـفـهـماـ تـهـادـتـ أـصـوـاتـ رـفـاقـهـمـ فـيـ المـكـانـ مـرـتـقـعـةـ نـارـةـ  
وـمـنـخـفـضـةـ طـلـورـاـ بـدـوـنـ مـبـالـاـةـ .ـ وـلـكـنـ مـاـ كـانـ يـأـسـرـ عـيـنـهاـ هـمـ هـاتـانـ  
الـعـيـنـانـ الـخـضـرـاوـيـنـ الـفـتـنـانـانـ .

احـسـتـ غـرـبـتاـ وـكـانـهـاـ تـدـفعـ نحوـ الـبـرـ ، يـحـثـهـاـ مـلـاحـ قـويـ وـائـقـ منـ  
نـفـسـهـ أـكـثـرـ مـنـ ثـقـهـ هوـ بـهـاـ .ـ وـكـانـتـ تـشـعـ أـنـهـاـ تـبـعـ فـرـانـكـوـ نحوـ أـعـماـقـ

#### ٤ - صياد الرحمة

نظرت إلى شحوبها بكراهة، ثم جلت.. حسناً لقد انتهى الأمر.. أرجوك يا إلهي أنبه، لن يسمى إليها ثانية.. ليس بعد أن.. إنه لا يعرف أين تسكن، هذا ما ذكرت نفسها منذ أغفلت الباب وراءها ليلة أمس، وذلك بعدما أرسلها فرانكوا بسيارته مع السائق وبعدهما مكثت في الغرفة التي أمنتها له الإدارة بناء على طلبه.

أخجلتها الذكرى، فوضعت فنجاناتها من يدها، وأسقطت رأسها بين يديها، لا تظن أنها متنسى يوماً كلما قالها أو توتوأ شعرت به أو لحظة ارتباك سيطرت عليها.

كان قد حقق كل شيء بسهولة حتى كادت لا تصدق أنه وجد تلك الغرفة والأنكى أنها لا تصدق كيف سارت معه كالمنتومة مغناطيسياً. ولو ذكرت في الأمر لأدركك أنها ليست المرأة الأولى التي يبقى فيها البارون هناك، وليس المرأة الأولى التي تطبع فيها سيدة رغبته ولكنها كانت تسير على ضرب هدى كعمياء غبية.

لم تلح على الغرفة ملامح غرف الفندق لأنها كانت مفروشة باثاث أنيق وكان هناك خزانة من خشب السنديان ومشاجب خشبية ومصباح زجاجي متقن الصنع وضع على طاولة السرير رامياً ضوءاً خافتًا في الغرفة.. عندها ضمها بين ذراعيه لم تعد ترى من وراء العينين المغمضتين إلا انعكاس مشاعرها المتلهفة.

لم تنس بعد عشر سنوات تأثيره فيها فغرقت بين ذراعيه وكأنها لم تتركهما قط. كان يستمتع كلمات بالإيطالية لم تفهم منها شيئاً وكان يلقط اسمها مراراً وتكراراً.. هل قالت شيئاً لا شئ أنها قالت.. فلا يمكن أن تتعلق به بعجز وهيا ملفرط سعادتها، دون أن تتكلم.. لذلك لا تدريه فهي لم تقل لا.. ولم تتصرف كمن يزيد الرفق.

لم يكن في المكتب عندما وصلت هوارد أو غيره.. وهذا ما كانت غربتنا تمناه. فهي لم تتم بعد عودتها إلى لندن ليل أمس.. لذا استسلمت يائسة للخروج إلى الشوارع البراقة كالتماس في الصباح الباكر. فإن عجزت عن النوم فلما لا تلتجأ إلى العمل على الأقل، فربما فيه تجد ما يحد مذاكرياتها.

شققت طريقها في تلال من العمل تركها لها فسست.. كان هناك عمل كثير، أكثر مما يحق له أن يوضع على كاهلها. لكنها أنجزته.. فقد كان للعمل فالدته.. وسرعان ما انتهت.

وتقدمت نحو مائة القاهرة، فللمحت صورتها في المرأة التي تعلوها.. لم تكن تبدو أنها هي نفسها، ففي وجهها حدة ما وعلى ملامحها توتر وقلق وعلى ثغرها ارتعاشة حزينة.. ضغطت راحة يدها على فمها حتى تألمت.. هكذا كانت تبدو ليل أمس، مصدومة مصعوفة، وكأنما تعرضت للذروة الحمى ثم انفجرت.

عندما صبت نفسها القاهرة لاحظت أن الارتعاشة ما تزال تلازم يديها.. حاولت أن تقول لنفسها إن السبب يعود إلى السهر الطويل الذي لم تعتد.. ولكنها لم تصدق نفسها.. مهما فعلت لن تستطيع إلا أن تلوم نفسها.. كانت مسحورة ليلة أمس لكن ذلك عائد للفتنة التي أظهرها لها البارون.

أغمضت عينها بفترة بعدما لمعت الصورة التي لا ترحب بها أمام عينيها حية مخيفة بحيث لا يمكنها إنكارها، وشدت شعرها حتى كادت تخلعه من منتهه.

كان هو من تردد وتراجع يسأل

- غربنا... صغيرنا... هل أنت واثقة؟

نظرت إليه وهي لا تفهم لأنها كانت ما زال مستبشرة بالقصبة الخرافية. فتابع:

- هل هذا حقاً ما تريدين؟ يجب أن أتأكد.

كان الجرح حياً وكان بعض صغير يتحقق في عنقه، فامتلاه عيناه دمداً وسائل بحدة هامسة: «المادة».

أساء فهم قصتها، فقال:

- لأنني لن أقدم على إغوائك، فعلى ما تريدين القيام به أن يخرج بعلم إرادتك.

امتدت البرودة إلى بشرتها... ولكنه لم يلاحظ بل سحب نفسها طويلاً وأكمل:

- كنت تتكلمين عن الخيال وعن الوهم، وقلت إنك لا ترغبين في الاسترسال طويلاً، وأنا أوافقك الرأي ولكن للخيال ثمناً... فهل تفهمين قصتي؟

تراجمت ذراعاعها عنه، وأحست بالبرودة تزحف إلى جسدها:

- ماذا تقول؟

- أقول فقط إن القرار عائد إليك. وهذا ثمن أتحمله أنا، إنما لا أتحمله عن أي شخص آخر. تفهمين غربنا؟ أنا لا أستطيع اتخاذ القرارات عنك.

إنه يعني أن هذا مجرد انجداب عقلي... وأنه لا يرغب فيها إلا على أنها بديل عن تريشا. دفعته عنها ووجدت نفسها مضطرة إلى

لملمة شتات نفسها فسارعت إلى الحمام تخفيه فيه. وهناك على ضوء الحمام في المرأة بانت وجيئها حارتين فأسرقت نفقي الماء البارد على وجهها وعلى معصميهما ولكن الماء البارد لم يغير شيئاً لأن مظهرها يبقى مظاهر من ضرب بقعة. حين عادت إلى الغرفة نظر إليها متوجهة ولكنها نظرت إليه وقالت بوضوح

- أرعب في العودة إلى منزلني.

- أنت تغيرين رأيك بسرعة.

- أشك في أن تلرأي علاقة بهذا.

- ربما لا... لكن لا يمكنك أن تشرحي لي السبب؟

- أيسخر منها؟ رمقته بنظرة ملوها الكره.

- ألم يكن الأمر واضحـاً... أنت تذكرني بالشمنـ.

- وهذا خطرك عليك؟

- لا... بل أنه لا يستأهل التفكير أبداً.

- وهكذا ترتبدين إلى سجنك؟ أتخيلك الحرية؟

رددت بافتتاح:

- هذه ليست حرية بل خيال محض، أرفض المزيد منه... لا أدرى لماذا بدأت به فرانكو... أما الآن فلا أريد إلا أن يولي بعيداً بعيداً.

- ولماذا بدأت به؟ فلم أكن أنا البادي، بل ياشرنا به نحن معاً.

ضمت قليلاً، ثم أكمل وقد التوى قدمه، وكانتما يقول لنفسه:

- كان أمامي سيدة نظمت نبرة أثني ما عدت وحيداً... لم خافت... .

إنه يتكلّم عن تريشا وهذا ما آلمها. تقدم إليها فذهرت، ردّ اسمها بتعودة، وكان صبره قد نفد ولكتها ارتدت أكثر فأكثر ثم قالت:

- إن لستني ثانية، فسأصاب بالغثيان.

وقف فرانكو كالعميت. كانت تعابير وجهه توحى بأنه لا يصلق لم

لم يلبث أن تغير جموده وكأنه نذكر شيئاً فسخرت منها عيناه قبل أن يرتد عنها.

- أطلب لك السيارة.

حين وصل جوليوا إلى الباب لم يراقبها فرانكو، ولم يعد نظره عن الحديقة المظلمة ولم يردعها حتى  
وها هي الآن في المكتب تشعر بالدموع تترافق على وجهها.  
فساحتها بغضب، وعادت تزداد القهوة الباردة.

حسناً.. انتهى الأمر الآن.. ربما عادت إلى السجن ثانية، كما قال فرانكو ولكنه سجن محدود هو أفضل بكثير من البركان الذي يمثله البارون فرانكو مونتاغيو دو سانكور.. فيعد ليلة أمس لن يحاول رؤيتها مجدداً.

وصلت إلى منزلها ذلك المساء متأخرة وكانت تتعجب نفسها أن هذا التأخير يجنبها ساعات الازدحام في قطار الانفاق اللندني. لكن السبب الحقيقي في الواقع هو عدم رغبتها في أن تجلس وحدها في شقتها الفارغة، لست ذكر. ففي المكتب تستطيع على الأقل إلهاء نفسها بشيء ولو يغسل فجاجين القهوة.

جلست في مقعد المترو السريع تقصد منزلها، والبؤس يغلبها.  
أحست أن كل من حولها ينظر إليها باستغراب وكانت ترندي بذلك فضائية.

لم تكن تعى نظرات المسالرين الفضولية قيالها.. ولم تكن تعى أنها بوجهها المتجمهم، وعيينها الكبيرتين المأساويتين، كانت تبدو كمن ينوجه إلى ساحة الاعدام.

في المتريل أخيراً، ارتفعت الطوابق الأربع حتى شقتها. كانت شقة صغيرة ليست سوى غرفة نوم، تقع على مطبع مبنى قديم. وهذه الغرفة في الأصل كانت مرسماً لفنان، فنصف السقف، وجدار كامل، هما من

الزجاج لذا كانت تدفتها في الشتاء تكلفها الكثير من المال. ولكنها الآن مشبعة بنور ودفع شمس المساء.

\* خلعت حذاءها، وغاصت في السرير الضيق الذي تستخدمه أيضاً كأريكة للجلوس ثم رفعت رأسها نحو الشمس تاركة توقيع اليوم كله يتساب منها.. عندما مدت يدعا ترفع شعرها بعيداً عن جيئتها أناها من خلفها صوت ناعم: «جميلة».

شفقت غريباً، وحاولت الالتفات ولكنها وقعت عن الأريكة إلى الأرض ممزوجة. ومن هناك من حيث وضعها المزري، وجدت عيناه صورته، كان يقف جاماً، كظل أسود أيام النافلة الوضاءة. عبر أشعة الشمس ارتفع خطيط رفع من الدخان.. ثم شئت الرائحة التي أنتها ليلة أمس. ورضم مرور عقد من الزمن منذ لامست رائحة سيكاره أنهاها، تذكرت مكتبته الذي كانت هذه الرائحة تبعق منه وفي سرتها كلما دخن ساق.

أغمضت غريباً عينيها بقوة. وقالت هامسة: «اماذا انفعل هنا؟».

ساد الصمت، ثم قال بخشونة:

- لماذا لا تقولين إن لدينا عملاً لم نجزه بعد؟  
لم تكن قادرة على السيطرة على ارتعاشها فلقت ذراعيها حول جسمها، تمسكت بيكتفيها لتدعيم نفسها.

- كيف.. كيف دخلت؟ كيف عرفت أين..

ضحك البارون: «الماذا تظنين أني أرسلتك بسارتى ليلة أمس؟ ذكر لي جوليوا عنوانك».

- لماذا؟

تحرك من الظل: «أردت أن أرى مكان إقامتك؟».

- لا أفهمك.

الثقت عيونهما وكانت عيناه شديدة انتشار، كأنهما عيناً فقط

يستعد للانقضاض على فارٍ

- لا نفهم؟

اجتاحتها البرد من جديد، فهزت رأسها بعنف، أما هو فتابع باللهجة

قاسية:

- أردت معرفة ما إذا كنت تعذبين وحدك.

سألت بعراوة: «وهل هذا هو تبريرك الوحيد لهذا الغزو؟

الغزو؟

أهلاً

ما تشعرين به؟ أترىني غازياً؟

ويم مستمر أنت لو افتحت أحذهم متراكماً حرمة دارك؟

رد بصوت ملؤه السأم والبرود:

- يا لهن المأساوية! إن هذا ما كنت عليه دائمًا، أردت بكل بساطة أن أتأكد بنفسك أنك لست في هوز.

أبعدت غربتها هذا عن تفكيرها، وكأنها لا ترتجف بصمت، وقالت من بين أسنانها: «وهل أردت أيضًا أن ترعي حتى الموت؟

عادت تجلس مرتجلة على الأريكة.. فتقدم فرانكو إليها يمسك يسلها اليمنى التي رفعها بواسطتها يحثاً عن دليل.. ثم قال بثقة مدهلة: لا أراك خائفة.

صررت على أسنانها: «حقاً؟

نظر إليها بسرعة يأسر عينها وكأنه يحاون أن يجعل فكرارها الدقيقة.

قال بعذوبة: «على الأقل ليس مني».

اتزرت يدها منه، وقالت يأنفس مخطوفة:

- أوه.. لا.. يسرني جداً أن يتحم الدخلاء منزلي.. ترى كيف دخلت؟ لم يكن القفل محظماً.

- إنها خدعة قديمة.. لقد نجحت ببطاقة الاعتماد المصرفي، خاصة لأن بايك لم يكن آمناً.

ردت ساخرة: «هذا ما الاحظه الآن؟  
ضحك وكأنه يعترف بأنه تلقى ضربة كانت ضمحكه مؤثرة  
معدية، فأحسست غربتها بالبسمة تداعب شفتيها  
لذكرت إن أحضر ما في فرانكو ذو مانعور هي ضمحكه التي تسلب  
الألباب.. فجينا يمسكتها، كانت تذكر أن هناك امرأة أخرى، هي  
حيثي الحقيقة.. ولكن حينما يضحك تنسى كل شيء وتتصفح عاجزة  
عن المقاومة وهذا ليس عدلاً. أشاحت بصرها عنه، محاولة تجاهل  
فتنه التي كانت دائنة ك TOR الشمس.. قال معترضاً بضممحكه أثبتت جميع  
مخاوفها:

- يحق لك أن تقضي.. فهل تغفرن لي؟

أوه.. حسناً.. لا فائدة من مقاومة المتعدّر اجتنابه وتنهّد..

- أنت الآن هنا.. سأثبت في اللحظة حديديبة مع مراج لباب.  
ضحك مرة أخرى، وأشارت إلى الكرسي الوحيد في الغرفة، إلى  
الكرسي الهزار.

- اجلس واشرح لي لماذا أصبحت لصاً.

جلس فيه بامتنان، وراح يهزه إلى الخلف ثم إلى الأمام بسعادة  
ويراهة ولكنها لا تشق به حين تلوح على وجهه البراءة. أخيراً قال بحذر:  
ـ في الواقع سبب مجبي هو «أنت».

ـ البارونة؟ جدتك؟ ماذا بها؟

ـ إنها مريضة.. مريضة جداً. إنها هنا في لندن تلتقي العلاج في  
المستشفى.

تذكرت غربتها أن تريشا أخبرتها بذلك، فردت ياخلاص لأن السيدة  
المعجوز كانت صديقة طيبة لها منذ عشر سنوات..  
ـ أنا آسفة جداً.

قال فرانكو، وهو ما زال يهز الكرسي: «وترغب في رؤيتها؟

-رؤيتي؟

بدامتعها.

ولم

كانت

وأذالت

تحتك.

ولكن

مضى

زمن

طويل

وللأسف

لم

نخلف

وراءنا

أنا

وعي

أفضل

الانبعاثات

ليك

تقفين

عن

الصاق

نقشك

بعنك.

أنت لست مسؤولة إن  
كان يكسب رزقه بطرق غير مشروعة، ومنذ عشر سنوات كنت طفلة غير  
مسؤوله عن نفسك، فما شئت به.

أدخلت عينا غربتها الذكري، ما كان البارون ليقول ما قاله لو عرف  
أن آباهما هو من دفع عنها إلى الفقر بمشاركة للكسب السريع، كما  
يقول غودفري. فالبارون يشترط الشرف والصدق في الناس مهما  
كلف الأمر ويكره الاحتيال والمراؤفة اللذين على ما يبذلوهما صفة  
موروثة في عائلتها.

يدر عنه صوت ملؤه نفاذ الصبر، فسارت تقول وهي مبتسمة  
ابتسامة حزينة:

- سأذهب طبعاً إليها إذا كان هذا ما تريده.. فهي كانت دائماً لطيفة  
معي.

ضاقت العيون الخضراء وان: «أنا.. ألم أكن؟»

- ماذ؟ أوه.. لا.. أعني..

- أظن أن ما تقصديه واضح.. آتي هي صديقتك، أما أنا فلست  
صديفك.

ضحكـت.. هو.. صديق؟ يعد ليلة أمس، هنا إذا لم تفكـر في ما  
حدث قبل عشر سنوات حين أوصـلـها إلى حـاجـةـ الـاسـلـامـ ثم نـعـتها  
بالـبـيـرـبةـ الرـبـحـيـةـ. أـيـظـنـ الـهـاـ قـادـرـ علىـ أنـ تـعـتـرـهـ صـدـيقـاـ.  
اشـدـ ضـغـطـ فـمـهـ الجـمـيلـ حتـىـ أـصـحـ خطـاـ رـفـعاـ سـتوـياـ، ثمـ قالـ  
بخـشـوتـهـ:

- سـاحـضـ لـأـصـحـبـ مـنـ المـكـتبـ عـدـاـ ظـهـرـآـ، كـونـيـ هـنـاكـ  
وـسـارـ إـلـىـ الـخـارـجـ  
\*\*\*

فيـ الـيـومـ التـالـيـ كـانـ غـرـبـتـاـ بـانتـظـارـهـ وـقـدـ دـامـ اـنـظـارـهـ ماـ يـزيدـ عـنـ  
الـسـاعـةـ وـكـانـ معـ كـلـ دـقـيـقـةـ يـزـدـادـ تـوـرـتـهـ. وـعـنـدـعـاـ لـمـ يـتـحـكـمـ فـنـسـتـ منـ  
مـكـبـتـ الـطـوـالـ الصـبـاـحـ، عـرـفـتـ أـنـ هـيـسـتـغـلـ الفـرـصـةـ لـيـدـيـ اـسـتـادـهـ منـ  
جـعـلـ المـكـبـتـ لـاـسـتـيـالـ أـصـدـقـائـهـ لـذـاـ رـاحـتـ تـدـعـوـ أـلـاـ يـفـعـلـ هـذـاـ أـمـاـمـ  
الـبـارـوـنـ أـوـ فـيـ وـجـهـ.  
لـكـنـ عـبـثـاـ.

كـانـ فـيـ قـاعـةـ الـاـسـتـيـالـ حـينـ وـصـلـ الـبـارـوـنـ. وـمـعـ أـنـ غـرـبـتـاـ كـانـ  
فـيـ أـشـدـ حـالـاتـ التـوـرـتـ لـمـ تـلـحظـ وـجـودـهـ إـلـاـ بـعـدـ عـودـةـ فـنـسـتـ الـذـيـ فـتـحـ  
الـبـابـ عـلـىـ مـصـرـاعـيهـ يـقـوـةـ قـائـلاـ:

- فـيـ الـبـابـ شـخـصـ مـشـطـوبـ الـوـجـهـ يـقـلـبـ رـؤـيـتـكـ الـيـوـمـ يـاـ مـلـاـكـيـ!  
هـلـ اـنـخـرـطـتـ بـالـعـمـلـ مـعـ الـمـافـيـاتـ هـذـهـ الـأـيـامـ؟

فـقـرـرتـ غـرـبـتـاـ وـاقـفـةـ وـكـانـ قـدـ شـاهـدـ فـرـانـكـوـ يـقـفـ وـرـاءـ فـنـسـتـ  
وـمـاـ ظـهـرـ عـلـىـ قـسـمـاتـهـ أـوـضـعـ أـنـ سـعـ كـلـ كـلـمـةـ قـالـهـاـ.  
فـقـالـتـ بـصـوـتـ مـنـخـفـضـ حـادـ: «أـصـمـتـ فـنـسـتـ!»

لـكـنـ الـوقـتـ كـانـ قـدـ فـاتـ، فـالـبـارـوـنـ يـقـفـ هـنـاكـ يـنـظـرـ فـيـ المـكـبـتـ  
بـيـرـودـ.. أـدـرـكـتـ فـجـاءـ مـنـ نـظـرـهـ أـنـ يـرـىـ المـكـبـتـ حـقـيرـاـ.. وـلـاـ يـدـ أـنـ  
فـنـسـتـ لـاحـظـ الـأـمـرـ عـيـنهـ، حـتـىـ وـإـنـ كـانـ لـاـ يـعـرـفـ مـدىـ أـنـاقـةـ الـمـتـزـلـ  
الـذـيـ يـقـطـنـ الـبـارـوـنـ فـيـ لـنـدنـ.

نـيـتـ فـنـسـتـ نـظـرـهـ عـلـىـ الـجـرـحـ.. وـقـالـ لـغـرـبـتـاـ دـونـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ:  
- عـلـيـكـ أـنـ تـكـوـنـ حـلـةـ وـدـقـيـقـةـ لـيـ منـ تـسـمـحـنـ لـهـ بـرـيـارـةـ  
مـكـبـتـاـ.. غـرـبـتـاـ.. فـلـاـ أـرـيدـ أـنـ يـقـنـ أحدـ أـنـاـ تـعـاـمـلـ مـعـ مـافـيـاتـ.

بل تحدث بهدوء عن جدته:  
ـ إنها تعبة جداً... ولكنها تتوق إلى رؤيتك. سأتركك معها.  
لدي أشغال كثيرة على إنها وها.

تحت غربنا والتور ما اتفك يحالجها بسبب تداعع مشاعرها غير المتوقع:

ـ أجل.. طبعاً.

كانت المستشفى مكاناً لطيفاً، تشبه فندقاً ضخماً أكبر مما تشه مستشفى ومن الواضح أن الجميع كان يعرف البارون... فقد ابتسموا له وهو يمر قرب مكتب الاستقبال متوجهًا رأساً إلى المصعد، والمميز في الأمر أن أحداً لم ينظر إلى وجهه.

عندما بلغوا الطابق الحادي عشر قال لها:

ـ سأدخل، لأنك من عدم وجود الأطباء معها.

هزت غربنا رأسها، قبل أن توجه إلى أحد الأبواب الخشبية المصقولبة الأنيقة. تجولت في الممر تأمل أناقة الديكور فوجدت بالاقات زهور رائعة الترتيب في تجويف جداري قبالة المصعد. ثم أدركت فجأة أن باب غرفة البارونة غير مغلق وأن الأصوات تنتهي منه. تعرفت غربنا إلى نبرات رفيقة هي للبارونة الإيطالية.

ـ ... إنها مخاطرة كبيرة.

ولم تستطع سماع الرد.. ثم تابعت البارونة تقول:

ـ هناك دائمًا خط الخسارة.

وكأنما توبخ من تحدثه على ما قاله.. ثم رد الآخر بصوت غير مسموع.. وضمت. كانت غربنا تردد على عتبها بمقدمة عندما سمعت صوت شخص تعرفه معرفة ما تزال باقية في جسدها لا في عقلها فقط. تستررت في مكانها عندما سمعته يقول بخشونة:

ـ وما هو الخيار الآخر أمامي؟ لم يبق لي شيء آخر.

كانت إهانات سخيفة وطفولة ولكنها قصد منها الإيلام، غير أنها لم تفهمه كرهت كلامه أي كره. لم تنظر إلى البارون، المتسلك البارد في بذاته الشينة الرائعة، بل نظرت إلى فست بكراءه.. وقالت بيرود:

ـ يدعوني أن تعمل وأنت موجود في هذه المؤسسة.

ذهل فشت ذهولاً جعله يتراجع خطوة وقد ذهل البارون أيضاً من سرعة ردتها.. التقطت حقيبها عدiera ظهرها إلى فست الذي أصمته الصدمة ثم قالت لفرانكو: «هل لنا أن نذهب؟».

ظهرت السليلة في العينين الخضراءين... وفتح لها الباب بكلمة مبالغ فيها:

ـ سمعاً وطاعة سيدتي.

عندما خرجت من المكتب شامخة الرئيس شاهدت النشرات الخفية لا إليها فحسب بل إلى الوجه المشطوب. وتقلص قلبها الماهمي لم تنس إلى الآن ما قاله عن ابن أخيه وخوفه من مظهره. فهمت للمرة الأولى ما يشعر به. في الرفانا المنطقة التي أصبح فيها معروفاً ومحترماً، لم يعي ذكر أحد تشوهد.

أما هنا، في لندن فالامر مختلف لقد جعلتها رؤية النشرات الض Crowley في الشارع والذهول غير الخفي الذي أبدته الفتاة في المكتب، تعي بعده مدى اختلاف الوضع بالنسبة لفرانكو.. إنه رجل فخور بنفسه لذا يكره هذه النشرات، والشقة التابعة منها.

كانت السيارة تنتظر مع سائقها الذي لم يكن جوليوا هذه المرة. ساعدها فرانكو على الصعود وفي هذه الأثناء ألقى الضوء شعاعه على الجرح فذعرت غربنا وأشاحت بصرها إلى بعيد لأنها لن تضيف شيئاً إلى ما يتحمله.

لم يشر إلى فظاظة فشت أو إلى هجومها المرتد المثير للدهشة..

راقت البارونة تدقن الاحمرار إلى وجه زائرتها الشاحب . فغرقت في التفكير . تجاهلت غربتها الصقر القابع خلفها لترد بحثاء : « كان المكان في غاية الجمال » .

وأختقت البارونة على ذلك لكن نظرتها كانت تستخل من غربتها إلى حفيدتها المشدورة :

- أجل ، لقد جعل ادغار وجانت المكان جذاباً . تذكرتهما طبعاً؟  
هل شاهدتهما؟

رد فرانكوا بسرعة : « لم يكوننا هناك » .  
انتفضت غربتها ثانية . فهل لوجود صديقه أو عدمه فرق؟ أكان سيخجل من يقائه معها إن عرف أنه مراقب من أشخاص بهم رأيهما فيه؟ أم أنه سمح لنفسه أن يستغل فرصة غيابهما .  
قالت البارونة بقلب مطمئن ووجه حزين :

- سبكون هناك فرص أخرى . خاصة إذا بقي فرانك في لندن مدة طويلة .

رد بقوة : « لقد وعدت بأن أصبحك إلى بلادنا .  
ابتسمت البارونة ، وقالت مازحة :

- أوه .. أنت . انظرن أنك لا تُثير ! ما أشد تعجرفك !

- تعجرف؟ هرآما الأمر ليس سوى تخطيط وأنا بارع في التخطيط .  
لاح على نهره طيف ابتسامة فاتنة فهزت الجدة رأسها ووبيخته قائلة :

- أظن أحياناً أنك ترى نفسك أكبر مما أنت عليه . أعلم أنك لا تتولى إدارة العالم .

تقدم فرانك منها ليطبع قبلة على خدها . . وقال يمكر : « لا حاجة إلى أن أتولى إدارة العالم بل يكفي أن أتولى إدارة أموري الخاصة . .

بدا وكأنه يتذمّر . نطلعت إلى يديها فوجدهما مطبقيتين إطباقياً كاد معد الدم يتخلى عن أناكلها . لا يمكنني تحمل ألمه . وهذا الاكتشاف فاجأها فماذا يعني هذا بحق الله؟ لماذا تفكر هكذا؟ ماذا يعني لها فرانكوا دو سانكرو؟ سببت عن لندن ، وعن حياتها في القريب العاجل . لذا يجب أن لا يهمها إن تألم أم لا . بل عليها ألا تسمع لنفسها بالاهتمام به .

افتتح باب الغرفة ووقف فرانكوا أمامها . قشعرت أن شيئاً ما ظهر على وجهها الجميل وعيونها الدمعجاذين اللوزيين ، وثغرة الحساس . تقدم خطوة إلى الأمام بفتاد حسبر ، ثم كبح حركته ونظر إليها بامتعان . وتمكنت غربتها رغم ما اكتشفت ورغم صدمتها مما اكتشفت ، أن تبسم له . ولكنها لم تتع إلى أي درجة بدت بسمتها مترجمة :

- جدتي وحدها . أتودين الدخول؟

كانت البارونة متعبة . فعيناها السوداوان بدتا غائرين أكثر من أي وقت مضى . كانت يدها التعبية مسترخية على الغطاء وكانت لا تملك قوة ترقها بها غير أنه كان في ابتسامتها لزائرتها كل الدفء القديم :  
- عزيزتي .. ما الطف أن تزوريني !

التفت إلى حفيدها ، بنظرة لوم غريبة ، وأكملت :

- فرانك ، أتصب لنا التهوة؟ والآن طفلتي ، تعالى واجلس قريبي والخبريني عمما فعلته في السنوات الماضية .  
قامت غربتها بما في وسعها استجابة لها . ولم يك الأمر صعباً .  
قطالما كان الحديث مع البارونة سهلاً ، يسبب عذوبتها ولطفها وسامحها . لكن وجود فرانكوا في المكان بعث توبراً جديداً .

أخيراً أحسست البارونة بهذا التوتر فغيرت الموضوع :  
- أخبرني فرانك أنه صحبك إلى «منزل الزهور» فهل تمنتت هناك؟  
نورَد وجه غربتها لأنها فوجئت ولأنها أحسست بالخجل والندم ،

يجب أن أذهب الآن . . سأراك لاحقاً .  
ولثلا تسيء غربتا الجالسة في كرسيها صامتة فهم ما يقول ، أضاف  
معمداً : « سأراكما كلامكم طبعاً » .

\*\*\*

## ٥ - ديوان الماضي

بعد رحيله شعرت غربنا بأنها تنفس الصعداء وكانتما شخص ما قد  
فلاقيها . وبدت البارونة كذلك أكثر اطمئناناً ، وقالت :  
ـ أطلق عليه أحياناً لأنه يظن أن من واجبه إصلاح هذا العالم . وهذه  
المرة ،

صاحت ، فسألت غربنا : « هذه المرة؟ »

لكن البارونة هزت رأسها وقالت :

ـ يصعب تباحث هذا الأمر وأضيقني إلى ذلك أنه ممل جداً .

حدثني عن نفسك عزيزتي . . لقد مر وقت طويلاً ! فلقتنا عليك حينما  
اختفيت فجأة وظن فرانك أن عمك خطفك . ثم لما اكتشفنا أنك عدت  
إلى لندن عرفنا أن لا شأن لعمك باختفائك ، لماذا لم تتصالب بنا ثانية؟

اطرقت غربنا ثنفراً إلى يديها . . هذه هي التفطة التي تستطيع من  
خلالها قذف حفيده هذه المرأة المحظوظ بحملة من الانهiamات . كانت  
غربنا تمنى حينما كان الجرح مؤلماً ، أن تردد له الألم ، ولكن هذه  
الألمية باتت بلا جدوى في الوقت الحالي لذلك قالت تزيد التملص :

ـ أردت أن أرمي كل شيء وراء ظهرى والأبدأ من جديد .

هزت العجوز رأسها ، وبدت الحيرة في عينيها وهي لم تضطر قط  
إلى مواجهة أي موقف يائس ولم يحدث أن فرت عارية .  
وقالت مبتسمة :

وتابعت البارونة تكرر أمراً واقعاً:  
 - لم أكن أظن أن فرانتك قد يتزوج  
 - ولماذا بحق الله؟  
 - لأنه لا يحب التغرب من الناس... ثم هناك ذلك العرج الذي لا  
 تقبل به الكثير من النساء.  
 ردت بحرارة:  
 - هذا سخيف! إنه رجل جذاب جداً! لست الجميع يتوقفون عن  
 التحدث عنه وكأنه سخيف.  
 ابسمت البارونة ابتسامة خفيفة، وكأنها كانت شطراماً من لعبة لم  
 تكن غريبتها تعي أنها تلعبها. فنظرت إلى العجوز ريبة.  
 - أنت على حق تماماً... وأنا أأمل أن بلتقي يوماً بمن يجعله يصدق  
 هذا.  
 بعد ذلك غيرت البارونة موضوع الحديث بمهارة. حين وقفت  
 غريباً لتنذهب، مدت البارونة نفسها لتقبلها على وجهها قائلة:  
 - أنت فتاة طيبة... ولست اليكسي...  
 نظرت غريباً إلى الوجه المتعجب: «الصبي؟»  
 تنهدت البارونة:  
 - أجل... ابن بيبرو... انه ليس سهل الانتياد... يحتاج إلى أم  
 طبعاً. يغضب فرانتك منه بسرعة وهو متندد أحياناً معه وساخط أخرى  
 حتى الحتون لذا علينا أن نقوم بشيء». جمال هذا... ولكنني متعبة جداً...  
 تذكرتك عندما كنت في إيطاليا لم تكنيني أكبر منه بكثير يومها. وكانت  
 مضطربة ومشوشة مثله. لست شخصاً مثلك بتحديث إليه... فأنا وفرانتك  
 بعيدان عنه... ولكن، من الرائع رؤيتك مجدداً عزيزاتي... زوجيني قريباً  
 فلأننا بآية هنا وقتاً طويلاً...  
 عصرت الشقة قلب غريباً، فلامست اليد الضعيفة مؤكدة:

- أتعلمين أنني أنا التي وجدتك. اتصلت مؤسستك بصديق لي في  
 رفانا وشاهدت اسمك على الأوراق  
 أو... يا الله! إن البارونة هي المرأة التي يتوى فسنت أن يستغلها!  
 شجب لون غريباً، لكن العجوز لم تلحظ ذلك. وأكملت:  
 - وقد كتبت رسالة إليك ولكن تريشاً عرضت علي أن تزورك في  
 المكتب.

قالت البارونة تشير إلى تريشاً وحفيدها:  
 - من المؤسف أن أحد هؤالم يكن يليق بالآخر إذ كان لكل منها  
 اهتمامات متباعدة.  
 تعممت غريباً، إنما بدون ارتياح واقعياً: «اعتقد هذا».  
 - لقد انزعج فرانتك... كثيراً.  
 كان يمكن أن تصبح غريباً. لو كان يحبها ثمر باكثر من  
 الانزعاج؛ لشعر بالدمار والغضب والحياة، والتهور... فهل كان  
 متھوراً إلى درجة أن يتخذ سيدة أخرى عزاء له؟  
 أضافت العجوز وهي لا تدرك مشاعر غريباً الداخلية:  
 - لقد أنسدت عليه خططه...  
 - خططه؟

تنهدت البارونة:  
 - كان من المفترض أن أعود إلى «الكونينا» بعد الزفاف. وكانت  
 أعرف أن يقابلي هناك خطأ... فالمروسان يحبان أن ينفرداً بآنسهما في  
 أيام الزواج الأولى. ولكن فرانتك ضحك على طريقة تنكري وتصرف  
 بالطريقة التي تعرفيتها.  
 لهذا تراجعت تريشاً باكية؟ لأنها حافت من مسؤولية العناية  
 بالجدة في المنزل الذي اعتادت أن تديره العجوز؟ صحيح أن تريشاً لم  
 تقل هذا ولكن غريباً شعرت أن وراء ما قاله تريشاً شيئاً لم تفصح عنه.

- هل أنت ذاهبة إلى منزلك عن طريق دانهام. الذي عشاء فاخر،  
وغير بارد قبله، وما من فتاة عاملة تقاوم دعوة كهذه.  
هزت رأسها، لكنها كانت تضحك:  
- أنت على حق... حسناً... سأراهنك بهدوء.

قاد السيارة بنفسه. حين وصل إلى المنزل الأبيض المرتفع، بدا  
مهجوراً لذا تصاعد صدى وقع أقدامهما بشكل غريب. عندما فتح  
الباب وأدخلها إلى الودعة الداخلية قال باتضاح: «من هنا...  
أصبح فجأة أقل لطفاً، وأقل مرحًا لا بل شعرت به ينظر إليها وكأنه  
يقومها كخصم له».

كانت الغرفة التي أشار إليها غرفة جلوس صغيرة، فيها كرسىان  
وطاولة ضحمة، وكتب في كل مكان. وكانت الغرفة باشتئان التور  
المتدفق من زجاج النوافذ وقماش الساتان الملونة نسخة عن مكتبة  
المزرعة ولكنها طبعاً، أصغر حجماً، وأقل روعة. لم يكن هنا كرة  
أرضية تعود إلى القرن الثامن عشر، ولا رسوم زيتية قائمة على الجدران  
المكسورة بالقماش المذهب. أما الفوضى فكانت شبيهة.  
 وأشار فرانكو إلى أحد الكرسيين، لكنها تجاهلت إشارته فهز كتفيه  
ونقدم يجلس على راوية مكتبه الحالف بالكتب ثم نظر إلى بيده، قبل أن  
يقول بنبرة رسمية:  
- لن أبقيك هنا طويلاً بل لن يستغرق هذا إلا فترة وجيزة.  
- وما هو هذا؟

رفع نظرة إليها، ثم أخذ فيما من جديد إلى أصابعه التي كانت  
تمسك بركته المرتفعة... وقال ببرود: «طلب زواج».  
شهقت، أما هو فتمم ليقطع الصمت الذي رافق:  
- وهل توقعت شيئاً آخر؟  
احمر وجهها بقرة... إنه يعرف تماماً ماذا توقعت والآنك أنها

كانت تتوقع أن تجد البارون في الخارج ينتظرها لكن الشارع  
المعاط بالأشجار على الجانبين كان فارغاً فسارت ببطء باتجاه محطة  
المترو تحت الأرض... سيكون فنست غاضباً ولكنها لا تهتم لها...  
فقد كان الوقت لترك العمل عنده.

كانت منذ أسبوع تشعر بالقلق بسبب أسلوبه في العمل ولكن الأمر  
الآن اختلف بعدما أهان فرانكو بقصة هذا الصباح بات تشعر بأنها  
لن تطبق رؤية فنست ثانية... وهي ما عادت بحاجة إلى أن تجهد نفسها  
باتخاذ القرار... فقد جعل تصرف فنست المشروم من المستحيل عليها  
أن تتبع العمل عنده.

ذكرت في أن هذا القرار عظيم ولكنها تعلم أن من الصعبه إيجاد  
وظيفة أخرى ثم وبعد هبوط غودفري الأخير عليها إلى لندن، لم يعد  
لديها مدخلات تساعدها على الأوقات العصيرة... ولكن مع ذلك لا خائدة  
من التراجع، فقد هزمت النية، لذا أثناء توجهها إلى المكتب دخلت  
إلى وكالتين كانتا في طريقها فسجلت اسمها في دفاترهم.

\*\*\*

حين تركت العمل ذلك السماء كان البارون ينتظرها... تقدم منها  
وهي تقفل باب المكتب... وعندما لمس ذراعها أغمضت عينيها برهة  
ولكنها في أعماقها لم تكن دعثة... وتنعم بصوت مليء الضحك  
المكتوب:

- هل لي أن أفكك؟

نهدت:

- هل أنت ذاهب إلى منزلك عن طريق جادة برامي؟  
تناول حقيبتها وفتحتها وقال:

ضرب قبضته على راحة يده الأخرى بغضب مباغت أجمل غربا  
ـ يجب أن يدير المزرعة شخصاً ما ويتولى العناية بالعصبي أيضاً.

ـ تريشا ..

قال بسرعة: «تريشا قررت ولا انكر خيبة أملني ولكن لا مجال

للرجوع»

ـ أنت تحتاج إلى زوجة الآن ..

تردد.. ثم قال ينظر إليها: «أنا .. أجل»

نظرت بعيداً، بدون أن تشعر بتوترها المؤلم ولكنه نفظ اسمها بصوت ناعم وكأنما يخرج منه انتزاعاً .. شعرت أنه حاول التقدم إليها ولكنها عاد فتراجع عنها هو ما يزال جالساً في مكانه ولا يلوح عليه إلا توتر خفيف.

عندما تلاقت عيونهما هزت رأسها مرتبكة ومشوشة. لم يخطر ببالها قط أنه قد يرغب في الزواج بها بل الأصح لم يرد الزواج بها إلا بعدما وجد نفسه أمام حائط مسدود وهو هو الآن يراها مناسبة لزواج مصلحة فهو يعرف كل شيء عن ماضيها وعن أقاربها غير المرغوب فيهم، وعن رئيسمها الحالي المشكوك في أمره كما يعرف نعم المعرفة أنها غير قادرة على إدارة شؤون منزل كبير مثل «الكونينا» وأنها غير مطلعة على كيفية ارتداء الثياب العجميلة وظير متمرة على استقبال الناس بلياقة وفتنة، أو على إلقاء الأوامر على الخدم.

يعرف كل هذا كما يعرف أيضاً أن جهلها هذا يخيفها وقد يدفعها إلى ارتكاب المفاجآت.

قالت: «لن تكون البارونة راضية إن توليت إدارة منزلها ثم فشلت.. ألم يخطر ببالك أنني قد أزيدتها قلقاً يدل أن الخفف عنها؟»  
ـ هذا ممكن.

ـ بل ممكن جداً. أوه .. لماذا .. لماذا تحسن برغبة في القبول وهي

ويعد نصره المثين تلك الليلة أصبح لديها كل المبررات لتتفق ما توقعت .. سحبت نفساً عميقاً لكن فرانكو تململ متحجاً:

ـ لديك لا تيقن واقفة هكذا «كجان دارك» فهذا يثير أعصابي  
نظرك إليه: «أمر عظيم»

هز رأسه وقد كان على ملامحه الأسى وسائل متوفياً

ـ لا تكوني قاسية .. فأنت لا تعرفين إلى أي حد يثير هذا أعصابي  
ـ شعرت ساخرة .. قد تخففها قوته وسحره الذي لا يقاوم، لكنه  
لن يخدعها بكلامه هنزاً.

ـ ييدو واضحأ الأمر عليك!

ـ ضحك بسحر فجأة، ومديده إليها:

ـ حسناً .. ربما، فأنت تخيفيني .. أتعلمين هذا؟

تجذبت النظر إلى يده المفرية وجلست تقول ساخرة:

ـ أرى أنك ترتجف .. ماذَا تعنى بكل هذا بحق الله؟  
ـ توقف عن الابتسام ثم تنهى، وبمات واضحأ أنه لا يظهر، ذكرت  
عندما أدركت ذلك .. قلبك اللعبة لعبة صياد يلهو بفريسته، فأمامها  
الآن رجل متور وبائس حتى وتشت كثيراً في أنه يعني وجودها فربما هو  
يتحدث إلى نفسه.

ـ حالة آتي تزداد سوءاً فيها في كل مرة تبدو أشد إرهافاً وتعامة  
وأكثر قلقاً على الصبي المتتوحش وعلى نفسها من الموت في بلاد  
غربية.

مرر يداً على شعره الأسود، ولم يبد أنها المرة الأولى التي يتقو  
 بذلك هذا اليوم، فقد يدا شعره أشعث وبدأ فكره مشغولاً وجسمه مرهقاً  
 وهذا كل دفع قلبه إلى الرفاهية به.

ـ تحدثت إلى استون هذا الصباح .. إنه مستشارها الطبي وهو  
يقول إن عليها أن تفعل ما يجب، ثم تعود إلى ديارها .. لكن ..

رد بعنف مكبوت  
- لا تزدز أينما الفتنة الحمقاء، التي بحاجة إلى من تحمل  
المسؤولية! لا إلى من يقوم بالأعمال اليومية، أوووه... أريد مسيدة  
للليل! ما تفهم؟

ابتلعت ريقها - «ما دام الأمر كذلك فلماذا حاولت اتحادي عشية ٢٠١٣

رَأَنْ صَمْتَ طَوِيلَ وَلَمْ تُسْطِعْ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ  
فَالْبَطْرَاءُ :

- لم يكن بيتأ أفل تنافر .  
 نظرت إليه دهشة فرأته عابساً ورأت جرحه يتتفض . . حين عاد إلى  
 الكلام بدا أنه يختار كلماته بحذر : « لهذا هو اعتراضك الرئيسي ؟ »  
 أحسست بعفاف حلقاتها ولم تكن قد شعرت قط بمثل هذا الحرج أو  
 بمثل هذا الضعف وابتلعت ريقها بصعوبة . ومع أن فرانكون لم يضع يده  
 عليها ، أحسست ببرودة الجليد . أحسست وكأن هذا الوجود العاجم  
 الكثيف قد رمى شباكه حولها . ولكن رغم ذلك لم يتكلم أي منها في  
 تلك الغرفة التي تبهرها أشعة الشمس . . أخيراً قالت :  
 « إذا كنت لا أقدر . فلا أزيد . .

لقد وضحت هذا غير أنتي أملت  
وصفت.. فسألت: «ماذا»

- أنت وحيدة في هذا العالم... مخلوقة شديدة الحنان.. فماذا عن الأولاد؟ فهل تخلين عن فكرة إنجاب الأطفال؟  
- رأيت ما قد يحدث لهم لهذا لن أكون سبباً في تعاشر أي مخلوق.

غير مدرية على الشيام بأعياد كنلوك؟ ولكن كان لفكرة زواجها من فرانكلو تأثير منهمل في نفسها. فهي تشعر وكأنها تنظر إلى صورة شاهدتها منذ سنوات. وللأذن لم ير حبها ما يتراءى لها في خيالها. وقالت تشاوم نفسها أكثر مما تقاومه.

- لم أضطرر قط إلى العناية بأحد سوى نفسي
- لكنك فعلت الكثير من هذا

إنها ملاحظة غريبة غوتفت وأشكارها الهائمة تأسرها نبرة ذلك الصوت الناعم . كان ينظر إليها ، والجروح القبيح المنظر يبارز . قال وكأنه يقسم :

- ساعتني بك، طبعاً.  
أثر فيها قوله هذا، لكنه أيضاً أعاد إليها مخاوفها الأولى، فغضبت  
علم شفتها

- ذفر نفساً طويلاً . ثم قال بصوت ساخر :  
- حسناً . على الأقل أنت تفكرين في الأمر . فماذا أستطيع القول  
لأساعدك على التفكير ؟

نظر إليها بدون أن يرده، وهذا مالم يساعدها.  
فسألت بيتسون:  
- أليس هناك من طريقة أخرى؟ لم لا تطلب مني أن أكون مدبرة  
منزل أو ما شابه؟

ازدادت تقطيبته: «وهل أنت متأكدة؟»

هزت رأسها بالإيجاب، قلّاب: «البنت أنت...»

- بل حقّقوني فأنا لا أريد أن أنجّب الأولاد، وليس من المحتمل  
أن أغير رأيي...»

نظر إليها ببرية: «أيعني هذا أنت مسترزو حيني؟»

ففرّخت مذعورة ولم تكن تعي ما يجري ولكنها تنازلت في خضم  
الحديث عن اعتقادها... وهذا هو الجنون المطبع ولكن حين رأته  
رمادي اللون منهاكا، وكانتها عجوفة لم تعد تحفه، لم تستطع منع  
نفسها عن التناطف... وأحسن بردها.

قال بسرعة: «أحتاجك غريباً».

أطلقت تهديد طولية، نصفها يأس ونصفها ارتجاع، لأن المعركة  
انتهت... وقالت: «سأتزوجك».

\*\*\*

إن أحد الأمور التي كان عليها القيام به هو إخبار تريشا بهذا. لم  
تكن قد تكلمت مع صديقتها منذ اتصلت بها تخبرها بوصول خاتم  
الخطوبة إلى صاحبها، ولم تكن تعرف كيف ستلقى تريشا هذا الخبر.

لأن تريشا لم تظهر الارتزاع بل نظرت إلى غريباً تأملها:

- لهذا ما تريدينه حقاً يا مكان فرانكو أن يكون شرماً... فعل  
حاول السيطرة عليك؟

لا.

- حسناً... لا أراك سعيدة جداً... ولكن عليك أن تظهرى بعض  
السعادة أمام المصورين ولا كنت سبباً في نشر اسمه في صحف  
الشائعات مدعين أنه يضرب زوجته.

كان فرانكو قد قال لها الشيء نفسه تقريباً... ففي إحدى الأمسىات

قال لها ببرة ملؤها التوتر:

- أنتين ألك قادر على أن تظهرى سعادة العروسين؟

كانا يقعان على عبة منزله اللندنـي، يتـظران أن يحضر جـولـيو  
السيـارـة... كانت ترتـدى أحد الفـاسـتـين الجـديدة التي أصـرـ على شـرـائـتها  
وهو فـستانـ منـ الحرـيرـ الأخـضرـ يـبرـزـ روـعةـ قـدـنـهاـ... أماـ العـداءـ الـذـيـ كـانـ  
تـشـعلـهـ فـكانـ عـالـياـ عـلـوـاـ لمـ تـعـدـ عـلـيـهـ مـنـ قـبـلـ... كـانـتـ قدـ سـرـحتـ شـعـرـهاـ  
إـلـىـ الـوـرـاءـ بـعـدـأـ عنـ وجـهـهاـ وـعـقـدـهـ بـعـقـدـةـ زـمـرـدـةـ تـسـبـهـ ذـاكـ الـذـيـ يـعـطـيـ  
جـيدـهاـ وـمـعـصـمـهاـ... فـبـدـتـ فـيـ غـابـةـ الـأـنـاقـةـ وـلـكـنـهاـ كـمـاـ قـالـ لمـ تـبدـ  
سـعـيـةـ...»

أجابـتهـ: «الـعـروـسـ تـتوـرـ عـادـةـ».

- تـتوـرـ تـعمـ إنـماـ لـاـ تـظـهـرـ خـاتـمـةـ وـجلـةـ حـتـىـ الـموـتـ... أـلـاـ يـمـكـنـ  
عـلـىـ الـأـقـلـ اـنـظـاهـرـ بـأـلـكـ تـرـيـدـيـنـ الزـوـاجـ يـيـ عـلـىـ الـأـقـلـ فـيـ هـذـهـ السـهـرـةـ؟ـ  
آـلـمـنـهـاـ كـلـمـانـهـ وـايـضـ وـجـهـهاـ ثـمـ لـمـ وـضـعـ ذـرـاعـهـ حـوـلـ كـفـيـهاـ  
أـذـعـنـتـ فـرـاجـ يـقـودـهـ إـلـىـ الـفـنـدقـ الـكـبـيرـ الـذـيـ سـيـلـتـيـانـ فـيـ اـدـغـارـ وـجـابـتـ

وـسـائـرـ الـمـجـمـوعـةـ... كـانـتـ الـمـنـاسـبـةـ حـفـلـ خـبـرـيـ رـاقـصـ، وـلـكـنـهاـ لـمـ  
تـفـهـمـ الـقـرـضـ مـنـ الـثـيـرـعـاتـ... كـانـتـ تـتـلـمـ الـتـعـودـ عـلـىـ الرـسـمـيـاتـ لـكـنـهاـ  
لـمـ تـتـلـمـ بـعـدـ التـمـيـزـ بـيـنـ الـشـخـصـيـاتـ...»

جلـساـ لـتـاـولـ الطـعامـ عـلـىـ العـائـدـ الـرـئـيـسـةـ وـكـانـ مـنـ الـواـضـحـ أـنـ  
فرـانـكـوـ هوـ ضـيفـ الـشـرـفـ... وـتـلـقـتـ غـرـيـباـ نـظـرـاتـ قـضـوـلـ عـدـيدـةـ وـكـانـتـ  
هـدـنـاـ لـلـعـدـيدـ مـنـ عـدـسـاتـ الـتـصـوـرـ... أـخـيرـاـ صـحـبـهاـ فـرـانـكـوـ إـلـىـ حـلـةـ  
الـرـقصـ وـهـنـاكـ أـخـرـقـتـ يـدـهـ الـمـكـانـ الـقـيـاسـتـ عـلـيـهـ... وـيـدـاـ لـهـاـ أـنـ كـلـ  
الـأـنـوارـ فـيـ القـاعـةـ مـسـلـطـةـ عـلـيـهـاـ...»

عـلـىـ الـخـلـةـ، جـذـبـهاـ إـلـىـ فـرـاعـيـهـ سـهـولـةـ، وـكـانـتـ لـيـسـ هـنـاكـ  
ذـكـرـيـاتـ مـاـضـيـةـ عـلـيـهـاـ تـنـاسـيـهاـ... حـبـتـ أـنـفـاسـهـاـ فـنـظـرـ إـلـيـهاـ يـقـولـ:  
ـ لـاـ تـأـبـيـ لـأـحـدـ مـنـهـمـ!ـ سـيـتـبـونـ مـنـ مـرـاقـبـتـاـ بـسـرـعةـ بـعـدـ زـوـاجـنـاـ...ـ

حدقت غريتنا إليه بذهول... فتابع:

- كتب محامي المجهور إلى فنسنت رسالة عن تلك الأموال في رفان وهي تحمل لقب بارون، فهل هي قريبة؟

فأوصى قلبها فقالت: صديقة!

- حسناً، شخص ما راسلنا ولكن فنسنت أخذ الرسالة وبدل ذلك العين لم أرها ولكن المميز فيها أنها لم تكن مطبوعة عادت إليها الذكرى بصورة واضحة.. فإن كانت الرسالة مكتوبة بخط اليد، فهذا يعني أنها الرسالة التي كتبتها البارونة لها، والتي لم تصاحلها قط، لكن لماذا أخفاها فنسنت عنها. عندما أخبرت ديسموند بالأمر قال يبتلة:

- نكبة بما إحساناً بالذنب.. لقد هددته إذا ما استمر في مشروعه بأن أترك الشركة.. ويدو أتني وضعت العصا بين الدوايلب وهو لن يحصل خسارتنا في آن واحد.

- شكرأ لك.. لم أكن أجرؤ على الأمل بأن تكون النهاية سعيدة.

ابتسم لها ديسموند بمحير:

- لبيت السعادة تحف بعياتك في النهاية! هل سمعتدين إليها إن واجهت صعوبات؟ إلى صديقك.. فأنا لا أحب نظره إليك أحياناً.

لكن فرانكو كان دائم الكياسة عليها، في السر والعلن.. كان يراقبها عمدًا في الأسابيع الأخيرة قبل الزفاف. كان يذهبان إلى حفلات الاستقبال والكريكت، والترويض الخاصة وكأنهما من العائلة المالكة.. وكان يهز كثبي بعدم اكتراث ويقول:

- تخمة من الدعاية العلنية.

لتساءلت: «ماذا تعني؟»

كان هذا بعد مشاهدتهم معرضًا فنياً. في تلك الليلة عادت معه إلى منزله فاسترخت على الأرضية وكان عندما يدخلان يتعد عنها ولا

هزت رأسها فلمع الزمرد. «ليس الأمر هكذا بل أنا أكبر».

- لن تكون الصور جملة.. ولكنك غير مفترضة للنظر إليها.

وكأنه فحصد أن يجرحها أحسب بالدموع تلسع عينيها ولكنها أحسب بكم يعلم لم تسمع لها يان تركه يراها، فأدارت وجهها بعيداً تقول:

- أنت لا تسهل الأمور عليّ هكذا

ضحك بخشونة:

- وما الذي سهل عليك الأمر يا زوجي العتيدة الحبيبة؟ جراحة تعديلية؟

فوجشت ولكنها قالت قبل أن تستطيع كبح الرد: «لا تفعل هذا».

ولكن الأنوار خفت في تلك اللحظة، وتغيرت الأنقام، وكما فعل كل الرجال ضم فرانكو شريكه إلى صدره.. وكان غريبًا ما شعرت به كانت تشعر بأنها وحدها معه وأن لا أحد هنا سواهما وأنهما على شفير شيء قد ينهي راحة بالها إلى الأبد.

تنفس الصعداء حالما انتهت الرقصة، فنظر فرانكو إليها ساخرًا ثم أطعها فوراً لادخار، الذي أعادها إلى الموسيقى وطفق يقص عليها بحماس مدى سعادته وجانب يزواجهما ولكنه لم يقل إنه ذهل لأن صديقه اختارها.

ولم يكن اللعنول فقط من تنصيب أصدقاء البارون. فند قال لها ديسموند يورك مقطباً:

- لماذا يريده؟! ماذا ينوي أن يفعل؟

كانت قد قاتت بالتعارف فيما بينهما وقد حدث أن تعاملًا بعذر وكيامة. وعندما سألاها ديسموند لم تستطع الرد على السؤال طبعاً، فتابع ديسموند:

- أبحاول دفعك إلى تسديد دين قديم؟

يحاول منها. ابسم لسؤالها بطريقة ماكرا

- لو خرجننا

كثيراً

وتشكل دائم

لتقديرا الاهتمام بنا وهذا ما سيجعل

خلافاتنا على الكثieran.

- خلافات؟

- يشاجر معظم المسترزجين من وقت إلى آخر.

أزعجتها النكرة: *البيلا لا تشاجر*.

- لكننا لستا غير عاديين إلى هذه الدرجة.. فانا لست قدسياً، ولا

أنت كذلك.. أتصور أن خلافاً أو اثنين أمر محظوظ.

رفعت رأسها:

- لا أريد معارك فرانكون.. فانا لا أستطيع التعامل معها.

تلاشت المرح من وجهه فتركه متيناً متورتاً. كان البرج يارزاً هذه

الليلة، وكانه أحسن أنها تنظر إلى برجه، فصرخ فجأة ليدير وجهه

بعيداً عنها.

قال بخفة: أحسناً، بدون معارك وبدون أشياء كثيرة أخرى.

جلست طریقاً ووجهها مضطرب.. إنها المرة الأولى التي يشير

فيها إلى أن شروطها تهمه.. أحست ببرقة بعض الأمل، قلبها يهشم بها

قليلًا فهي لا تطلب اهتماماً يوازي اهتمامه بترشا.. ثم نظرت إلى

الجعشنين الكسولين، والقناع الساخر، فادركت أن كل ما كان يتحدث

عنه هو التنايد والاعراف.. فهو لا يحتاج إلى أن يحب سيدة

ليعاشرها. أليس هذا ما أظهره بدون أن يترك مجالاً للشك.

عادت تفرق نفسها في الوسائل على الأريكة وهي تشعر بالإحباط.

وقت فرانكون ليتقدم منها لجلس على طرف الأريكة بذلك قدمها

بحركات ثابتة قوية:

- أضيفي إلى هذا العروض الخاصة.. كنت أخشى أن أضطر إلى

حملك من هناك عنده الليلة.

- كان ذلك سيكون صورة رائعة!  
نظر إلى قدمها مبتسمًا ابتسامة قلقة:  
- أتعنين.. الجميلة والوحش؟  
لم تستطع تحمل هزته بمظهره.. كان يولم نفسه بضغطه  
المتواصل على الجرح وقد آلمها هذا عظيم الألم حتى عجزت عن  
التعامل مع ألمه وألمها. لكنها قالت بشيات  
- أنا عروس، لا وحش..

رفع نظره إليها وعياه تضحكان.. أحست به يكاد يمبل ليعانقها  
فتشنج جسدها كله ولكنه عرضًا عن ذلك توجه إلى الناقفة قائلًا لها من  
فوق كتفه بخفة مرحة:  
- عروس معاقة.. إن لم تحصلني على حذاء مناسب لنسريري فيه  
الغبة الزفاف.

بعد هذا المزاح، ضحكا وتبادلا الأخاديد الخفيفة. فيما بعد  
أوصلها إلى منزلها دون أن يمسَّ أكثر من كم فستانها.

\*\*\*

تزوجاً أخيراً وسط حفل بسيط أقيم في مكتب تسجيل عقود الزواج  
وكانت الصحافة قد نشلت في معرفته. ارتدت غريباً بذلة عاجية اللون،  
ترافقها الآلة التي أهدتها إياها الليلة السابقة. أما البارونة فأخرجت  
من المستشفى للمشاركة بحفل الزفاف ولكن ابن أخي فرانكون، اليكسي  
لم يأت من فرنسا.. وكان ادخار وجائب الشاهدين.. فكررت غريباً في  
دعوة ديسموند بورك ولكنه كان خارج المدينة وبهذه المناسبة تناول

الجميع غداء في مطعم فندق شهير، قبل أن يسافر إلى الكونينا.  
بدأ كل شيء بالنسبة لغريباً غير حقيقي.. فقد سارت الترتيبات  
كدرقات الساعة ولكن لم يكن في الحفل ما هو عام بطريقة مميزة إذ كان

لکھا کیجھ اندفاعاً للقول «سیکون كذلك، لو کنت أنا تریشا».  
سینجع هذا الزواج فقط إن توقفت عن التفكير في تریشا وإن  
تذکرت أن هذا ما لم يكن بريده حقاً. لذلك كیجھ اندفاعاً الفجائي  
نحو الشمرد، وأخذضت عینیها: ثم قالت بهدوء: «لا، لا أعتقد  
هذا!»

卷之三

يمكن أن يطلق المرأة على الحفل اسم مناسبة أو غداء مع أصدقاء لأنه افتتاح إلى عينة تصره من سعاد

لكن اذغاء وجائب كانا نعم الرفقاء وقالت جائب: «أظنكما مستيقمان حفلة كبيرة حين تنصم آثر أفضى حالاً

رد في الكتب: ما لا يكتبه التقليد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

- حسناً - ألم تفعل؟ أعني لا يتوقع الناس أن ...؟

هز کفیہ:

- ستعلل ما يحلو لغيرنا. فلن أقيم الحفلات لأرضي الناس بل لأحب زوجتي السعادة.

ابسم ادخار وجانت. وقد بدا لهم الأمر رائعاً بالطبع.. لكن من الغريب أن يبعث هذا إلى غربنا الكافية، فلو كانت ترسينا محلها لعنّاً ما يقول ولكن كانت ابسمته هذه صادقة ليس الهدف منها الرسميات فيما كانوا متوجهين إلى المطار سألهما عن تلك الكافية التي لاحظها بيل الأن.

ما الأمر غربا؟

ادارات وجهها عنده «لا شيء»

- يا فتاني العزيزة . الذي عيّن ، أنتيني أنك برفضك النظر إلى ،  
لا أستطيع رؤيتك ؟ كان هناك شيء ما ، وأريد معرفته .

تهدت: احسأ ما دمت مصرًا سأخبرك، في الواقع لم يهد لي  
العقل حقيقةً وهذا ما أخافني برهةً. لقد سار كل شيء بسهولة ويسر  
ونظافةً ولكن لم يكن أي مما عرضني حقيقةً.

رَأَنَ الصَّمْتَ دُقْبَةً ثُمَّ قَالَ يَسْخَرُ بِهِ عَمَّا:

ـ حسناً . لن يكون الأمر حقيقةً . أم تراه سيكون؟  
ـ أردت عيناه إلى مذعورة ، وكانت على وشك الرد بقصبة وحدهة ،

### ٦ - قيود القلب

مدركة إلى أي حد متختلف حياتها. بات معظم ما شغلها وأعنتها طوال حياتها غير مهم... فلم تعد مضطراً لذكر الأشياء الصغيرة كثراء الشامبو أو ملح للمطبخ لأن هذا كلّه كانت تقوم به غربتنا. ولم تعد تقلق على خسارتها زرًأ أو على تعرق جورب لأن التصلحات تقوم بها الآن فتاة ماهرة أما «المشادات» الممزقة فقد كانت تُرمي بعيداً العمال الذي لم تكن تفكّر فيه كثيراً، أزال من أمامها معظم العقبات اليومية.

وهذا ما تركها مع... ماذا؟ تنهدت غربنا، ثم ألت نظراتها على المناظر الطبيعية الرائعة... وفكّرت: أمامي وقت طوبل لأنّكر وأنذّكر ولانقطع إلى المستقل وأقلّن... ورغم هذا كلّه ما هي في منزل نفس كالجواهر، حرّة من كل فلن، العناية بها تقوم على قدم وساق. تعم باشعة الشمس وليس في قلبه إلا هاجس وتأخير مهم... فلماذا؟ أ يكون السبب هو هذا الرواج الغريب؟ لقد قلّفت منه سلفاً، ولكنه الآن يدو تاجحاً بمحاجاته لم تتوقع حدوثه البesta.

كان فرانكوا شريكـاً سهل المعاشر والعمال ودودين، والجيـران طيبـين فلم يذكر أيـ منهم ولو بإشارـة أو كلمة إلى أنه يتذكـر غربـنا في أيامـها الماضـية البائـسة. فلـمـا إذـنـ شـعـرـ يـمثلـ هـذاـ القـلقـ؟

عادـتـ إلىـ الغـرقـةـ. فـوقـعتـ عـينـهاـ عـلـىـ غـطـاءـ الفـراـشـ المـبعـثـ وـتـهـدـتـ. الرـدـ عـلـىـ تـسـاؤـلـاتـهاـ غـيرـ يـعـدـ فـقدـ تـوـقـعـتـ أنـ يـكـونـ فـرانـكـواـ يـعـدـ عـنـهاـ مشـغـولاـ يـشـؤـونـهـ كـمـاـ كـانـ يـفـعـلـ مـنـذـ سـنـواتـ وـلـكـنـهاـ كـانـتـ مـخـطـةـ.

فيـ الـبـدـءـ، كـانـ يـمضـيـ مـعـظـمـ أـيـامـهـ مـعـهاـ مـعـ أنـ الـواـضـحـ آـنـ اـبـعدـ عنـ «ـالـكـوـنـبـاـ»ـ فـتـرـةـ طـوـيـلـةـ وـحـالـمـاـ عـادـ رـاحـ يـزـورـ الـحـقولـ مـتحـدـثـاـ إـلـىـ مـسـأـجـريـ الـأـرـاضـيـ، مـديـرـ المـزـرـعـةـ مـتـجـولـاـ فـيـ الـبـاسـاتـينـ سـيـراـ علىـ الـأـنـدـامـ طـورـاـ وـعـلـىـ ظـهـرـ الـجـوـادـ تـارـةـ وـلـكـنـ فـيـ كـلـ الـحـالـاتـ كـانـ يـرـيدـ أنـ تكونـ غـربـناـ بـرـفـقـتهـ.

كانـ السـكـونـ تـاماـ. هـنـاكـ فـيـ الـوـادـيـ البعـدـ صـوتـ آـلـةـ ماـ، رـيـماـ هيـ مـولـدـ كـهـرـبـائـيـ... آـمـاـ هـاـنـاـ فـالـصـوتـ الصـمتـ. نـقـلتـ غـربـناـ فـيـ فـرـاشـهاـ باـسـتـرـ خـاءـ وـتـرـفـ اـسـجـابـةـ لـنـداءـ الـاسـتـيقـاظـ. كـانـ الشـمـسـ تـنـسلـ عـلـىـ النـافـذـةـ الـمـنـتوـجـةـ حـامـلـةـ رـائـحةـ أـشـجارـ الـلـيمـونـ، وـالـبـحـرـ. قـلـلتـ بـرـهـةـ مـضـطـجـعـةـ فـيـ هـدوـءـ، ثـمـ فـتـحـتـ عـيـنـهاـ فـيـ ذـاـقـاـ فـوـقـهـ سـاتـرـ السـرـيرـ الـحـرـيرـيـةـ الـمـتـهـادـيـةـ بـلـطـفـ فـيـ التـسـبـبـ الـعـلـيلـ الـمـدـفـعـ مـنـ الـبـحـرـ، فـمـدـتـ يـدـهـاـ بـتـكـاملـ تـلـمـسـهـاـ مـفـكـرـةـ بـقـلـقـ بـأـنـ أـولـاـ مـاـ عـلـيـهـ الشـكـرـ فـيـ عـدـ صـحـوـهـاـ فـيـ الـمـنـزـلـ، هـوـ أـنـ تـنـظـرـ إـلـىـ السـاعـةـ.. نـسـطـ، ثـمـ خـرـجـتـ مـنـ السـرـيرـ.

الـغـرـفةـ بـسيـطـةـ، لـكـنـهاـ غـایـةـ فـيـ التـرـفـ وـمـاـ يـوـحـيـ بـذـلـكـ الـخـزانـةـ الـمـحـفـورـ عـلـيـهـ شـعـارـ الـبـلـاءـ وـالـمـقـاعـدـ الـتـيـ يـعـودـ طـرـازـهـاـ إـلـىـ عـهـدـ لوـيسـ الـخـامـسـ عـشـرـ. نـظـرـتـ غـربـناـ إـلـىـ مـلـابـسـهـاـ، الـمـرـمـيـةـ بـدـوـنـ عـنـيـةـ لـيـلـةـ أـمـسـ عـلـىـ إـحـدـيـ الـقطـعـ الـأـثـرـيـةـ. كـانـ هـذـهـ الـعـيشـةـ الـتـيـ تـعـيـشـهـاـ مـتـاقـضـةـ تـنـاقـضـاـ تـاماـ مـعـ تـلـكـ الـحـيـاةـ الـتـيـ عـاـشـهـاـ فـيـ شـقـنـهاـ.

دـنـتـ مـنـ النـافـذـةـ لـتـسـتـدـ إـلـىـ حـافـتـهـاـ تـارـكـةـ لـرـيحـ الـبـحـرـ الدـافـعـ حـرـبةـ الـبـثـ بـشـعـرـهـ.

فـيـ لـنـدنـ وـرـاقـتـهـاـ تـرـيـشـاـ لـشـراءـ ثـيـابـ كـلـفـتـهـاـ مـيـالـغـ طـائـلـةـ تـفـلسـ مـصـرـفاـ، وـلـكـنـ فـرانـكـواـ دـفـعـ لـهـاـ يـسـخـاءـ وـلـكـنـهاـ فـيـ ذـاـكـ الـوقـتـ لـمـ تـكـنـ

شعرت بادنأ ذي يده بالإحراج وكانت نفاجأ كلما ناداها أحدهم بالسيورا البارونة.. ولكن ما من أحد أظهر لها العداء وهذا ما كانت توقعه وما من أحد أظهر ازدراء وكانت مستعدة هي لمواجهته.. كان الجميع مثل لوريتا، لطيفين مهمتين، مرحبين.

علقت على هذا أيام فرانكو الذي منحها تلك الابتسامة النادرة التي لم تكن لتأخر عن الاستجابة لها.

- إنهم رومانسيون.. كانوا قد قدموا الأمل بالنسبة لي ولأنني أخيراً تزوجت راحوا يتظرون إلى الأمر وكأنه قد عالج مشاكلهم المترتبة الخاصة.

حاررت غريتا: «ولكن تريشا».

اختفت بسمة: «خطبت تريشا في روما وفسخت الخطوبة في لندن ولم يكن للخطوبة تأثير كبير هنا».

- أما أنا فأظهر يومياً على الشاشة.

ضحك مسخياً: «صحيح، بم شعرين وأنت تجمة المسطفة الآن؟».

دفعها مزاجه إلى الإحساس بالدفء: «إنها مسؤولة».

أطلق ضحكة صارخة قبل أن يمسك بيدها. «إذن لا تنسى دورك أبداً».

مال عن ظهر جواده ليشم طرف أنفها.

كانت طرباً قد اعتادت على هذه المداعبات الصاعقة، وقد تحكمت من النبات على ظهر جوادها، ومن عدم شد اللجام بحيث يتراجع الحيوان المسكين.. ولكنها رغم ذلك عجزت عن المحافظة على أنفاسها مستقرة وعن منع الأحمرار من ارتفاع وجنتها.. وكان فرانكو يُظهر ابتهاجه بتغييره فيها ويظل مرحاً في مزاج طيب ما يبقى من اليوم.

بدأت غريتا تدرك أنها لم تكن قد شاهدته سعيداً قط.. ففي لندن

كانت تراه كلّاً مشغولاً بالبال، محظوظ التواد لتخلي تريشا عنه، كما كانت تظن.. منذ عشر سنوات كان كثير الشك وكان هذه الأساسية الحصول دون وقوع جدنه في حبائل أشخاص لم يعتبرهم سوى عصبة محابين.. ولم تشاهد فقط خاتمي الوفاقيين من الهموم.. وأدركت

ذلك مع الأيام، أنه لم يطلق بعد عنان سحره عليها بالكامل.. أوه.. تعرف نعم المعرفة أنه مشهور بسمعة لا تقاوم.. أو بالأحرى هذا ما يقوله مواطنه.. فهو قادر على الحصول على أيّة امرأة مقابل ابتسامة.. ولكنها كانت تظن أن هذا خرافه محلية وخ حال ووهم بشأن الأغرب الأكثر شهرة في الريف، ولكنها الآن رأت تلك الخرافه على ما هي عليه حقاً: الحقيقة غير الملوونة.. فحتى هي وقعت ضحية الخرافه وعرفت أنه لا يرغب في تريشا فقط، بل أنه في أعماق قلبه يفضّلها هي غريتا.. ولكن حين كان يضحك لها، أو يدفع قبعتها فوق عينيها ليمسّكها عالياً للمساعدة في الترجل عن ظهر الجواد، كانت تكاد ترمي كل وساوسها وحدّرها أدرار الرياح..

صعب عليها مع الوقت أن تقول له «تصبح على خير» بهدوء.. في وقت تلمع فيه أضواء الشموع المرتعشة وبريق النجوم المتلالئ.. فوق الشرفة.

كانت أحياناً تساءل عما إذا كان يعرف كم أصبح الأمر صعباً عليها.. ففي نظرته إليها شيء ما، إن نظرته ثاقبة باحثة.. هناك شيء ما في الصوت اللطيف الكيسن الذي كان يرد عليها متممياً لها ليلة خالية من الإزعاج..

حين كانت تأتي إلى غرفتها الأثيرة لم تكن تستطيع النوم حتى وإن كان النعر يغلبها.. وكانت تقنع نفسها أن السبب هو الحرارة.. وتسرع إلى فتح التوائد نحو البحر ولكنها رغم ذلك كانت تعجز عن النوم.. ثم اعتقدت أن السبب هي الستائر المتدلية من قوائم السرير الأربع، أو

ترتجف . أحست وكأنها على حافة جرف كبير لا تعرف كيف وصلت إليه، وليس لديها فكرة عما يجب أن تفعله، أو حتى عما ت يريد . وحيست أنفاسها . أخيراً تكلم بصوت متخفض مضطرب . - أنت لست سعيدة . أليس كذلك؟ هذه هي المشكلة الحقيقة . لا تفكرين عن تذكر الماضي . عندما تحركت بحدة أدار رأسه بحركة بطيئة، فالنقطة نظرتها لمعان عينيه . كان ينظر إليها . ثم قال ببساطة :

- أرى هذا بوضوح . في لحظة أراك مستمتعة وفي أخرى تتقوقيعين وكان الماضي يقض مضجعك . غربنا . اتركي الماضي خلفك . أغضبت عينيها لهذا الرجاء، وسألت بقلق : «كيف» .

- مضى عليك عشر سنوات يحق الله! فمهما كانت الذكرى سيئة كانت لم تعيشي مع عملك في السنوات العشر المنصرمة لذا ليس على هذه الذكرى التحكم بعيائك . يحب إلا تسمح لها ولن اسمع أنا لها .

الأمر مفصح حقاً: إنه يعتقد أن حياتها مع غودفري هي ما تبعث إليها الحجل . هل تسي دوره في حياتها، هذا دون ذكر سبب هربها من إيطاليا؟ هل تسي أنه حملها إلى المنزل، واعتنى بها ثم نعمها بالمبتسنة؟ هل تسي أنه اختراها بين ذراعيه في مكتبه؟ هل تسي المال الذي رمأه لها ليشتريها؟ ولېتخلس منها؟

مد فرانكو يديه وأمسك كتفها، يهزها قليلاً: «ردي على» . - ليس الأمر بهذه السهولة .

- أماذا تلتقيه؟

- غودفري؟ أوه . أجل . إنه يظهر لي من وقت إلى آخر . كانت تتقول إنه يظهر عادة حين يحتاج إلى المال ولكن فرانكو يعرف ذلك، ولا ت يريد أن تتقول له للاستفادة أسباباً أخرى ليكرها .

حمله الضخم ولكن ذلك لم يحل دون أن يهجرها النوم وفي النهاية كانت تتوجه إلى الشقة فترك يابها مفتوحاً ليتدفق الهواء العليل . في إحدى الليالي، وفيما كانت مضطجعة تحت شرشف وحيد

انفتح الباب، وصاحت صريره . فتساءلت عما إذا كان السبب هو الريح في تلك الليلة الحارة . ولكن سرعان ما لاح لها ظل تقدم ليقف في أسفل السرير وكأنه ظل من الظلال الكثيرة في الغرفة . ونطق اسمها بصوت ناعم .

لم يخطر ببالها أن تظاهرة بالنوم .

- ألم تتمكنى من النوم؟ (سألها فرانكو) وكانت كان يهمس لثلا يواظب أبداً في المنزل، وهذا أمر سخيف . نظراً لوجود الخدم في مكان بعيد . دفعت غربنا شعرها الرطب عن وجهها، وقالت: «البعض حار جداً» .

جلس قربها في الفراش، ووضع مؤخرة يده على بشرتها، كانت يده باردة جداً وأحست بشيء يقترب في داخلها ثم يتلوى كأنها تلتقط صلة كهربائية خفيفة .

- ربما عملت جاهدة أو تركت نفسك تحت أشعة الشمس مدة أطول مما يجب .

هزت رأسها نافحة: «كنت حذرة فلما أعرف كم من الوقت يمكنتي المكوث تحت أشعة الشمس فهذه ليست المرة الأولى التي أعيش فيها هنا . لا تنسى هذا» .

رد بلهجة غريبة: «وكيف أنسى؟» .

غربنا، التي لم تكن تذكر ساعتها بمعركتها القديمة، شهقت، وغضت شفتيها ثم اجتاحتها الإراج والصمت .

جلس بلا حرراك . بدا في الظلام كبيراً وهاماً . وبذات

- أيمكن أن يلحق بك إلى هنا؟ أهذا ما يحيقك؟  
- من يعلم؟

- أظنين أني غير قادر على حمايتك؟ أظنين أني سأسمح له  
بازعاجك؟ أعلمي أنه لن تتمكن قدماء من وطء أرضي  
بها مجدهما وأحسنت غربنا بالأسى على عسها إن حاول الاقتراب  
ولبته لا يحاول لأن ذلك سيكون الإذلال النهائي له...  
قالت يكياسة: «واثقة أنا من فدريتك».

نهد: «إذن، لماذا...؟»

أحسست بالخطر وهو شعور يداعمها أحياناً فابتلعت ريقها بضموره،  
وبدا صوت ريقها رادعاً في الظلام... فقال فرانكون بصوت منخفض:  
«غريتنا، لا يعقل أن ترتكبي نفسك مغلولة بالقيود إلى الأبد...  
ردد بصوت لم تعرف إليه: «لا أنهم قصدك».

بدأ متربداً، ثم عال بيته شديد إليها فججست أنفاسها. كان يترب  
بلطف حتى كادت تشعر بأصابعه على بشرتها وعندما مرر ظاهر يده على  
خدها شهقت بصمت فيما تشبع جسمها كله... ربما هي أخف لمسة  
مسكنة ولكن كل ذرة في داخليها استجابت لها، وكانتها قطب مغناطيسي  
النجذب إليها جسمها كله أو كأنه حقل مغناطيسي قوي عجز أمامه دفاعها  
الخالق عن مقاومته.

تمسكت بأطراف الغطاء، وكانت تتراجع عنه...  
قال لها: «أتعلمين، في كل مرة ألتلقى منك رسائلين متباينتين؟».  
ـ لا أنهم.

ضمحك بعلوته ولم يظهر أنه انزعج من نجهم صوتها:  
ـ إذن، فلما شرح لك أو بالأحرى فلاظهر لك.

صاحت وهي تضفط نفسها على الوسائد: «ماذا تrepid؟».  
ـ أوه... تعرفي ما أريد وليس صعباً معرفة ما تريدين أنت، أو ما

لا تريدين! وهذا متبر للاهتمام أكثر... مثلاً: أحياناً ترتدين عني كالآن  
وكما حدث في فندق ادغار وجانت.

تجاهل شهيقها الخائف، وأكمل  
ـ وأحياناً أخرى أراك متربعة وكأنك راغبة في إن المسك، وكانتك  
تريدin لهذا الشع『الزواج』 أن ينقلب حياً.  
صرخت رافضة غريبة: «لا».

ـ غير أن هذا أمر طبيعي... أنت شابة، حساسة، وجذابة.  
كان سيفول شيئاً آخر... ما هو؟ فهو شيء يكتشف أنه لاحظ  
جوها فأشتفق عليها منه؟ إنه خبير ذو تجربة تفوق تجربتها أضعافاً  
مقاعدة لها هو يعرف الانبعاث الجنسي حالما يراه. أينحن أنه مدرين  
لها بارضاء رغباتها؟

تابع بصوت جاف:  
ـ لماذا النظاهر؟ لماذا تعاولين بدون توقف التصرف وكان لا

مشاعر عندك؟ ليس مخجلآً أن تكوني طبيعية.  
تلعوت غربنا فوق الفراش مبتعدة عنه.

ـ أنت... مخطيء... أنت لا تفهم... أنا لست...  
ظل فرانكون هادئاً يشكل بشير الجنون وقال بقاطعها:

ـ كما قلت لك، دعني أظهر لك.  
لم يقم بأية حركة طائفة أو خرقاً... أحسنت غربنا أن من يغويها

هو فنان. حاولت تخلص نفسها من الغطاء الذي الف حولها،  
وحاولت الخروج من الفراش ولكن أمسك بها بسهولة، وضمها إلى...

ـ فأغمضت عينيها وشعرت برأسه يدنو منها رويداً رويداً وسمعته  
يتنفس ثانية: «فلاظهر لك».

ـ عانقها يجسده فتبصه الدم وتتألم مع دمه وشعرت أن من يقوده  
خلفيات قلبها هو خفات قلبه هو. ونافت في غياهب عناهه وارتفعت

فوق غمامه حريره من المشاعر . سلبها عنقه إرادتها وأصبحت له ، وبدا  
أنه يتضىء عنها .

ولكثها سرعان ما أحست بخشونة جرسه على يترنها فانطلقت  
الذكرى التي لم تستطع كبحها . فجأة عادت أبنة الثامنة عشرة وتهادى  
إلى ذاكرتها البح الفاتح فتناثرت سهاماً إلى التحرر من طوق ذراعيه ثم  
خرجت من السرير مذعورة وقالت متوجهة :

- لا ! ليس محدداً . لا أستطيع التحمل !

٩٥

المotel ساكن . . . والوقت ما زال يأكل فالشمس نائمة والندى  
ي بلاً على أوراق الكرمة ولورتا وزوجها نائمان بل الكلاب أيضاً ما  
نزل نائمة .

لم تكن غريباً قد فتحت من قبل الأبواب الرجاجية . . . لذا تعاركت  
مع الرتابات ، محاولة إلا تصدر صريراً وأخيراً انتجهما ولكن كان عليها  
بعد ذلك أن تفتح الأبواب التزيينية التي تقطيها . وكان أن صدر عنها  
صريراً مرتقاً فتسمرت غريباً في مكانها برهة ولكن ما من أحد خرج من  
المotel الغارق في سباته خاطئاً بالها .

عندما خرجت مرت بالشرفة ويعريشة العنبر وبالمرجة المحمولة  
التي يستعملها عمال الحديقة يومياً . كانت ترتدي بنطلون جينز وجذاء  
رياضياً سرعاً سرعاً ما أصبح لونه أسود بفعل الريح المشبع بالندى وسارت  
بين البستان .

إنها لم تنم الليلة

فيعد أن أبعدت نفسها عن فرانكلو ، أحسست باليأس والانسلاخ .  
ولم تعد تزيد إلا أن يتركها وكان قد لاحظ هو ذلك فهو أدهى من الألا  
يلاحظ . . . وأذكى من أن يلمسها . . . لكنه لم يخرج ، بل ارتد إليها ،  
منكها على السرير ، يسأل بتعلق سعياً إلى أن تصف له الصورة التي في  
رأسها والتي تملأها بمثل هذا الألم ولكنه لم ينفع ، إلا أن أحجا

الماضي بتوة جعلت غربتنا بعد شر وحده تقلب في فراشها غير قادرة على التخلص منه.

الآن، والشمس ما زالت مختيبة راحت تسير في العحوش وتحت أشجار بستانه فقلقة .. وكان هنا .. هذا المكان الذي رأته للمرة الأولى بل كانت قد رأته من قبل في الاستبل يتحلّت إلى تريشا. ثم شاهدته ثانية في ملقيه ادهار وجانبيت حين لفت آيمز داوكتز البغيض ذراعيه حولها .. يومذاك نظرت إلى الصالة الباردة فالتفت عيناها بعينك العينين الخضراءين ، الباردين اللذين تفوق برودتهما برودة المثلث العبرية . كان ادهار هو من أخبرها عن هويته وادهار أيضاً هو من حذرها أن فرانكتو يحصي جدته بضراؤه ، وأنه سمع ولم يوانق على أن مساعدة تريشا في إدارة مدرسة الفروسية .

استدلت نفسها إلى جذع شجرة يرثقال ووقفت في دائرة أغصانها بحيث أصبحت مستورة عن الأعين إذ وجدت . كان الجذع خشن العلمس ولكن دائرياً . وكان للأوراق رائحة خفيفة تذكرها دائمًا في أحلامها . مع أن الوقت حين وجدتها كان ليلاً لا نهاراً . رفعت رأسها ونظرت إلى الأغصان المكسوة بالأوراق ولكن الندوع سرت ماقبها .. أمر غريب ففي ذلك اليوم لم تبك وما يكت فيما بعد .

ما حدث كان غلطة غودفرى ، على الأقل كيادىة .. كان متورطاً بصفة مع آيمز داوكتز .. والصفة كانت قد بلغت مرحلة مأولة لغريبنا ، وهي مرحلة تكون فيها الأمور جازية في طريق خطاطفه .. غودفرى كان قد صرف طبعاً كل الأموال التي دفعها له آيمز سلفاً .. والرجل يريد ماله الذي لم يعد غودفرى يملكه ، ولكن غودفرى كعادته لم يصدق أن المشروع مبووس منه .. كان يريد بعض الوقت والقليل

من المال .. وسمح داوكتز لنفسه ، ولسيب مجھول ، أن يتمنع إلا أن السبب لم يكن مقنعاً جداً . وربما كان الجميع يعرفه ، الجميع إلا هي وزادتها الذاكرة إدلاً .

عشر سنوات مضت ، كانت في الثالثة عشرة تقضي معظم أوقاتها في مجالات كثيرة وكانت تكتب ما تستطيع كتبه : فمساعدة ادغار وجانبيت حظيت على العمل سابقته عنده وكانت في أحيان أخرى تسبس العياد أو تدرب المهرور الصغير ، أو تشرف على تعليم الصغار ركوب الخيل فوق الشاطئ ..

وكانت طوال الوقت تدخل المال لتدفع ثمن تذكرة العودة إلى انكلترا لتسعي إلى شيء من التعليم عليها به تجد عملاً فلم تكن طرق غودفرى المتسلك المشكوك فيه تلائمها وأضفت إلى ذلك وجود عشيقة التي كانت تعيش معها تحت سقف واحد يومذاك ولم تكن تلك المرأة تحب أن تشاركها في المنزل فتاة بنتها في الثالثة عشر من عمرها . تساملت غريبنا دوماً بما إذا كانت الفكرة فكرة كريستينا ، لا تذكر غودفرى .. فرغم لا مبالاته كان مولعاً بها ، ويعرف مدى براءتها ولم يخطر بباله قط استغلال جاذبيتها وشبابها لتسديد ديوبته .

ولكن ذلك الوقت كان مختلفاً .. فقد أعلن غودفرى وكريستينا أنهما مسافران إلى فرنسا بخطأ عن شركاء جدد لمعامرتهم العقارية ، وطلبوا من غريبنا البقاء للعناية «بفيلا برانكا» التي كان عمرها مكلف بالعناية بها . ثم قال عمها إنه لا يجوز بقاءها في القبلا وحدها للإ سيطbell إلى صديقه الطيب آيمز فضاء بضعة أيام في الفيلا برفقتها .. كان داوكتز رجل أعمال ثري طلق زوجته وكان هذا الطلاق قد أثر فيه .. إذ لم يكن يتوقف عن الكلام عن الكلام عن زوجته السابقة التي يشعر أنها

دون حراك . وفاقت له : « إنها في طاعة اللطف معك » .  
ـ أعرف هذا ، لا تستغلني لطفلها هذا .

ـ شهقت شهقة استقرار ، كانت صغيره جداً ، وكان هو شخص  
يؤثر في النفس بثباته السوداء ويجرحه الوحشي ويصونه البارد الرنان .  
ـ إنها امرأة عجوز . لكنها ليست غبية وما أنا بغيي كذلك . أعرف  
عمرك سينورينا أورك . إن اقترب من جدي ، وبأية طريقة كانت  
مساريه في السجن .

ـ وبينما كانت مصعوفة من فظاظته ، رفع قبعته القبيحة الواسعة  
الإطار بطريقة ساخرة :

ـ أرى أنتي أصبحت ما أقول . نهار سعيد .  
ـ صدمت غريباً وأحسست بالألم . لكن ذلك الألم لم يكن شيئاً إذا ما  
فورن بما شعرت به فيما بعد . ولكن لم يكن لديها وسيلة لتدفع فيها  
عن نفسها . أما البارونة فقللت لطيفة مضيافة كعادتها وكانت تعطي  
غريباً الكتب وتخبرها عما يجري في العالم ، وتتصت لما تقوله  
الصغيرة .

ـ ولهذا السبب لجأت إليهما في الليلة التي فررت فيها آيمز داوكرز إن  
يتبين منها ذيوره ، إذ كانت موقة من أن البارونة ستساعدها وتقدم لها  
الماوى .

ـ كانت قد انتزعت نفسها من قبضة داوكرز الغاصب ، وفازت عن  
فير وهي عن التعرفة ، ومنها إلى الأرض الوعرة خلف جدار البلا  
ولكتها كانت ليلة صافية استطاعت فيها رؤية أنوار الطريق العام  
الساحلي ، وكانت علامات فارقة . وكان الركض إلى الكوينتا أمراً شاقاً  
خاصاً وأن الارتفاع مستول عليها والرعب متملّك نفسها ولكن هذا  
الركض لم يكن مستحيلاً . صحيح أنها حرجت بشرتها بأشوال لم ترها  
وتشعّت شعرها من جراء الأغصان المتخصبة ولكنها في النهاية

خدعه ، ولم تكن غريباً تأسف عليه ، كما لم تكون تستطيع طريقة في  
وضع ذراعه عليها غير أنه لم يخطر في بالها أن رجلاً يكبرها هذا الكم  
من السنوات قد يفكّر فيها بظرفه رخيصة .

ـ وفي هذا كانت مخططة . والمُؤسف أن أهل المنطقة جميعهم كانوا  
يدركون ذلك فقد ذكرت لها تريشاً فيما بعد :  
ـ ظنتك تعرفين . كان الأمر واضح جداً .

ـ بكت غريباً : « ولكن لماذا؟ » .

ـ نظرت إليها تريشاً وهي تكاد لا تصدق :

ـ أنت صغيرة ، رائعة ولا ترتدين ما يكفي من الثياب .

ـ وكان هذا صحيحاً ، مع أنها وهي في الثالثة عشرة لم تكن تحسن  
أنها رائعة . بل كانت تحسن أنها مراهقة خرقاء يساقيها العبيدتين  
السمراوين ، ويشعرها الطويل الكثيف الذي يكاد يصل إلى حدود خصرها .  
لم يكن لديها ثياب أنيقة أو ماكياج وما كانت يداها ناعمتين ... وهالياً  
ما كانت ترکض في الجوار حافية القدمين . وكانت تحسن تماماً أنها

القندل الذي أطلق البارون اسمه عليها .

ـ الآن ، وهي تذكر ذلك سجّلت أنفاساً متهدجة . قبل تلك الليلة  
لم تكن قد قابلت البارون سوى مرة ، فعinemما كانت تزور جده ، كان  
إما في مكتبه وإما في الخارج ، ولم يحدث أن التقى به قط . لكنها في  
أحد الأيام وفيما كانت على شرفة « فيلا برانكا » تنظرها من أمامها فرانكو  
الذى كان فوق صهوة جواد . رفعت رأسها وشاهنته ، طيقاً أسود يتعامل  
تجاه حدود الأفق ، يجلس على صهوة جواده ، وراء جدار الحديقة .  
وأحسست أنه كان يراقبها لبعض الوقت . وكان صونه متزمناً حين قال  
« سينورينا أورك » .

ـ هرت رأسها إيجاباً فاردف : « أعتقد أنك تقومين بزيارة جدتي » .

ـ هرت رأسها ثانية ، ثم تقدمت نحو الجدار الذي يقف الجواد خلفه

كانت تعرف أنه يتحدث عن آيمز داوكنر فحركت يديها  
المجر وحين بحركة لا معنى لها.  
ـ إنه.. شريك غودفري في العمل لذا حاولت أن تكون ودودة  
معه.

سألتها بازدراء:

ـ مثل هذه الليلة؟ إن هذه الكندماط والحرج لا تظهر أي نوع من  
الود، ولا أظنه أصابتك من شجر اللوز  
أحست بحرقة الخجل تطفى على وجهها، وقالت مترفة بهدوء:  
ـ لا.. حاولت ولكنه لم يصح إلى.. كان كالمحجون..  
ـ أطلق البارون تعبيراً كان يستخدمه الأولاد العاملين في الأسطبل  
فشعرت، لا شك أنها لم تسمع جيداً! البارون الآتي لا يستخدم الفاظا  
ناية كهذه، بالتأكيد.

قال لها بصوت قاطع: «تابعي».  
لكتها لم تستطع، فقد كانت مرهقة وضائعة ومرتبكة ولعل ما  
زادها إرهاقاً أسلته القاسية.. قالت بصوت رفيع: «أرجوك».  
عادت لورينا إلى الغرفة حاملة ميدلاً أبيض طوبل..  
ـ حضرت الغرفة الصغيرة.. وحملت إليك هذا لتخلصي من هذه  
الأشياء القدرة الشريرة.

كانت نظرة البارون الباردة على غربينا، وسأل:  
ـ أتعهدك أوندها ما يظهر لك كالقندل؟  
الغرب أن الاحتشار الذي سيطر على لوجهه هو ما حطم روحها.  
إنها الفتاة التي قسمت ظهر البعير.. دهشت عندما سمعت لورينا  
تساندها، فمدبرة المنزل لم توافق على أسلوبها في اللباس أيضاً ولكنها  
كانت تعتقد أن الفقر هو المسؤول عن هذا، أما البارون فلم يدرك  
الحقيقة.. قالت لورينا ولوجهة تحذير في صورتها:

وصلت.. أعلنت الكلاب عن وجودها فقد شرعت بالسباح حالما تقدمت  
من جانب التل، عبر أشجار المشمش واللوز، ثم بستان البرتقال خلف  
المنزل، كانت في تلك الساعة في غاية الإرهاق لذا حينما اصطدمت  
قدمها بعنصر مقطوع، استلقت على الأرض تلهث غير قادرة على  
النهوض.

هناك وجدتها فراتكـ.. سمعت سباح الكلب وجبلة الناس  
الخارجين من المبيت، وهم حاملون المصاصيح التي كانت ترتجف في  
الظلام، ثم طلقوا ينتشون في الأرض.. وكان من سوء حظها أن من  
بحث في البستان هو البارون الذي انتقطها مصباحه اليدوي..  
سمعته يصبح: «يا رب العالمين».

ثم رفعت نظرها إليه فإذا طيف ضخم يلوح ورام نور المصباح  
اليدوي، وكان صدرها يعلو وبهبط بعذاب، وضع مصباحه بحلق  
وال نقطتها.. لم تكن تدرك كم من السهل فعل هذا، ولأنها خرجت للتو  
من ذراعي داوكنر الدجاجتين ذهرت خوفاً غير أنه لم يتبه لذعرها..  
في المنزل اعتنوا بها.. وقادت لورينا بمداواة جراحها وكانت  
تطلق تعجبها واستغرابها من مظهرها الصبياني.. أما البارون فكان ينظر  
إليها متوجهـاً.. أخيراً لوح لمدبرة المنزل بالابتعاد.

وقال حالما أغلقت الباب وراءها:  
ـ أخبرني بكل ما حدث، لو سمحـ.

احمر وجهه غرباناً بطريقة تثير الإشماع، لكنها لم تفك في الكلب..  
ـ ما حدث.. أعني.. أن غودفري.. سافر و...  
اردد عنها بطريقة طبيعية: «وأصبح عشبكـ أكثر نظافة مما  
توقعته».

غضت شفتها: «ليس لي عشيق».

ـ لا؟ ورغم ذلك تسمحين له بأشياء حميمة؟

خلت في المزرعة أسبوعاً من الفلن ولكن غريتا لم تصلق حظها  
الحسن ففي هذه المدة استراحت وتلقت الدلال وطلت نعم بذاته  
الجدة حتى وصل غودفري متضاج الوجه، مهدداً متعدداً  
كانت قد علمت بالخبر من جلة الأصوات التي ارتفعت في مكتبة  
البارون. وكانت لوريتا قد مررت بها سرعة في السر قلقة توجه إلى  
غرفة البارونة... فالجميع يعرف أن على البارونة لا تثار فقلتها ضعيف  
وقالت تغريماً من فوق كتفها: «وصل عملك»

وهكذا دخلت غريتا إلى المكتبة.  
كان غودفري يقف فوق السجادة الكثيرة أمام الطاولة المكتظة  
يصبح... كل صحف أوروبا».

وكان وجه البارون قناعاً من الأزدراء عندما رد: «سخافه».  
ـ سخافه قوتي لأن ما من امرأة قد تنظر إليك... فهذا الوجه المشوه  
يعدهن عنك... لذلك ثأرت مضطرك إلى...  
ثم شاهد غريتا تتفت بالباب فصمت... ثم تقدم إليها ليشك  
معصها بيده الضخمة، قائلًا بخشونة:  
ـ تعالى... ستقدر هذا المكان.

التزعت غريتا يدها منه: «لا».  
ـ نظر إليها دهشًا، فهي لم تتحداه فقط: «ماذا تعنين؟»  
ـ لمن أرفقت!

ـ أنت مجنة... ماذَا ستعملين؟ لا مكان لك تأمين إليه  
ترددت غريتا فجأة، أما هو ففاقت عيناه الحمراوان قبل أن يلتفت  
إلى البارون يوجهه الشعـ.  
ـ والله... أنت قد...  
ـ صاح به: «أصمت».  
ـ كان صمته صمت من لسمته أفعى... فأخذت غريتا تنظر إليها

ـ الصغيرة ما زالت طفلة سيدى فرانكو، فلا نفس عليها بسبب  
مظهرها، الفتاة في مثل عمرها تنسى أنها أصبحت سيدة صغيرة.  
الشوك وجهه، وكانت المرة الأولى التي ترى فيها غريتا جرحه  
يتحرك، رأت عضلة متوردة قرب عينه تبكي... فشعرت به يتألم أو  
يحس بالقضب، وكلا الأمرين قد ينقضي إلى العنف، فارتديت تخفيه  
وراء كتف مديرية السجن.

قال بصوت خشن حاد، وهبناه الباردتان توحضان:

ـ لا أظن أن جروحها هذه المرة هائدة إلى تسلق الأشجار كما لا  
أظن أن ساقيها المغبرتين مستترتين عن النظر... أوه... خذها إلى  
الفراش يحق الله!

وخرج كالعاصفة من الغرفة.  
اعتنت لوريتا بها كأنها... كانت الطفل من أي إنسان عرقه إذ قالت  
لها لا تأبه للبارون الذي لديه مشاغل كثيرة... كما قالت لها إنه لا يعني  
ما يقول وسيكون آسفاً في الصباح.  
وفي الصباح كان قملاً الطف ولكنه كان أيضاً بعيداً عنها بأذكاره  
وجسده.

حين علمت البارونة بما حدث استنكرت الأمر ولم تتمكن غريتا  
من البُوح بكل شيء... وكان واضحاً أن السيدة تعتقد أن تحرشات داوكنز  
صدمت الصغيرة... ولكنها لم تكن تعرف إلى أي حد كان الرجل هنباً  
معها... وارتجمت غريتا دون أن ترغب في أن تخبرها.

قالت لها البارونة إنهم يلغوا داوكنز عن مكان وجودها، وإنهم  
أكدوا له أنها سبقت معهم حتى تقرر ماذَا تريد أن تفعل... ثم قالت لها إن  
فرانكو سيهتم بكل شيء... صحيح أن غريتا قد ذعرت من هذا القول  
ولكن كان الوقت قد فات، وعلى أي حال لم يذكر البارون الأمر أمامها  
مع أنه قابل داوكنز وتحدث إليه.

ـ أخبرتني . أتفوّن بهذا دائماً؟ أم تراها معاشرتك الأولى؟  
نظرت إليه مصوّقة دهشة: «لا أفهم»  
ـ لا تفهمين؟ أيتها المبتورة الصغيرة؟  
كان ملء ابتسامته الغضب.  
ارتندت خطوة إلى الوراء فهز رأسه وأكمل:  
ـ إنها خطة ذكية . لقد فكرت بها معتقدين أنني سأفعل ما تريده  
لإنقاذ مشاهير جدتي . لكنني أرخص الإبتاز . لقد أخطأتنا الحساب  
هنا . يا ملاكي .

هرت غريباً رأسها بارتباك وذمول: «أنا لا . . .  
قاطعها بازدراء: «أنت لا تفهمين أليس كذلك؟»  
رفعت لهجته البرودة إلى دمها ولكنه أكمل:  
ـ هذه هي زينة الفكرة . . . ابتزازي بشأن أمر لم يحصل قط ولكن  
يجب أن يحصل .

سألته خائفة مذعورة: «عم تتكلّم؟»  
مد يده يلمس صدّاعها بحركة رقيقة غريبة . ثم قال وكأنه يحدث  
نفسه:  
ـ كل هذه البراءة . . . هذه البراءة وهم يجب ألا تفهّمي على هذه  
الدرجة من البراءة لأنك قبلة موقوتة . . . والله وحده يعرف من ستؤذين  
فيما بعد .  
تحرك بسرعة ليمسك بها وأحسّت بالعجز وفقدان التوازن والوهن  
والضعف .

ـ حسناً ستكشّفين هذه المرة يا حلواتي ما يحدث لك إن استمررت  
في ابتزاز الناس . وأنا أشك في أنك كنت تنجين بفعلك دائمًا .  
لأنك . . . وضمت . . . ثم أنهى كلامه بسرعة: «هذه المرة ستعترفين عاقبة

مذعورة، ثم قال وكأنما تسترضيه:  
ـ غودفري . . . سأكون على ما يرام . حقاً . . . وسأتصلك بك . . . لكن  
أرجوك . . . أرجوك أذهب من هنا .  
نظر غودفري إلى البارون وقال: «ستدفع ثمن هذا»  
ـ ثم التفت إلى غريتا بعناد: «والله . . . سأجعلك تدفع الثمن»  
رد البارون وقد لاح على ملامحه الضجر:  
ـ أنا واثق من أنك مستحول .  
مد يده إلى جبل العرسان الداخلي المعلق خلف الباب . وسرعان ما  
ظهر جوليوب وكأنه كان يقف وراء الباب، ظهر جوليوب: فقال البارون  
بصوت لاذع كالسوط:  
ـ سينيور أورك مفادر . . . فلا تسمع له بالدخول إلى المزرعة ثانية .  
ثم أدار ظهره بدون أن يقول وداعاً . . . أما هي فقبلت غودفري لأنها  
كان بطريقه طيباً معها . للحظة يداً مذهولاً ثم استدار يسير أمام جوليوب  
متعثراً.

تحتّخت: «أنا . . . أوه . . . أنا . . .»  
ـ التفت البارون إليها رافعاً حاجبيه: «أنت، ماذا؟»  
ـ كان الغضب ما زال يادياً عليه مع أن صوته هداً قليلاً ابتلعه ريقها  
وحاولت مرة أخرى: «أنا آسفه»  
ـ أوه . . . لا تأسفي . ما من أحد حاول ابتزازي يوماً لذا أرى التجربة  
مشيرة للاهتمام .

ـ هرّت رأسها مذعورة: «بيتزك»  
ـ كانت تعرف أن غودفري يسلك أحياناً طرقاً ملتوية في أعماله . . .  
ولكنها لم تكن تظن أبداً أنه قد يكون مجرماً بكل ما للكلمة من معنى .  
وقف البارون أمامها، ينظر إليها بعجرفة كان قد تخلى عنها في  
الأسبوع المنصرم .

هذا الأمر.

طفق يعاتبها ولم يكن في عيشه لطيفاً ذلك أنه لم يراع البيئة حداته سلوكها وعذاب مشاعرها. في البداية غلت أنه يود معايبها فشررت في مكانها حامدة تتعلق بسيطرتها على ذاتها ولكنها سرعان ما ادركت أن هناك المزيد. فرانكو غاضب بالطبع لأنها تندوّق الغضب في عيشه، إنه غاضب من نفسه ومنها وهو ينفذ التقادما بمداعبات مربكة. ولكنها بداعي جائعاً وكانت كان يرغب فيها رغبة عارمة.

\*\*\*

في هذا البستان بالذات، ومنذ عشر سنوات، تذكرت غريباً كم نجح البارون في انتقامه. كانت صغيرة جاهلة، تمحصر تجترتها كلها في تهمج الرجل الذي أخانها إلى درجة القرار مذعورة. ولكن البارون كان مختلفاً، ليس لأنه أكثر براعة، ولا لأنه يحبها.

بعد صدمة الرعب الأولى، تعلقت غريباً الصغيرة به بشوق، لأنها للمرة الأولى تعرف إلى مشاعرها الطبيعية التي أثارها هذا الرجل! كانت تدرك أن ما يحدث جنونٌ نهماً مختلفين في كل شيء في العمر والثقافة والبيئة الاجتماعية. لماذا إذن تحس بأنه الرجل الوحيد، الوحيد في هذا الكون.

لم تفك في الدفاع عن نفسها، مع أنه لم يعاملها بأفضل مما عاملها أمير داوكتز. ومع أنها لم تكن قد شعرت بما تشعر به الآن، وقد يكون هذا كله مثيراً للخذلان ولكنها أحسنت أنه صحيح، وبشكل غريب. تجاوالت معه ولكنه كان هو من ابتعد، إنها تذكر ذلك وكأنه حدث قبل أيام.. فما زال يغمرها ذلك الإحساس نفسه الإحساس بتجاويمها مع والإحساس بحقيقة الأمل الشديدة حين ارتد عنها.

وقال ببرود، مع أن صدره كان يملأ وهملاً، وصوته مرتعضاً:

- مثير للاهتمام.. أهذا ما عننتك إيه العم غودفري؟ أهـ هو الهم خاص؟  
ـ ثبـتـتـ. أـماـ هوـ فالـثـوـيـ نـمـهـ وـسـلـخـ نـفـسـهـ عـنـهاـ وـكـانـهـ لاـ يـطـيقـ  
ـ مـلـسـهـ،ـ بـدـاـ وـكـانـهـ مـضـطـرـ لـتـخـلـصـ مـنـ الـذـرـاغـينـ النـاعـمـينـ الـمـلـتـقـيـنـ  
ـ بـطـرـاعـيـةـ حـولـ عـنـقـهـ.  
ـ دـنـاـ مـنـ طـاـولـهـ وـوقفـ خـلـفـهـ،ـ يـنـفـرـ إـلـيـهـ.ـ وـلـكـنـهاـ شـعـرـتـ،ـ وـيـاـ  
ـ لـلـفـرـاءـ،ـ بـأـنـ يـدـافـعـ عـنـ نـفـسـهـ،ـ كـجـيـوـانـ غـيـرـ مـوـقـفـ حـرـجـ.ـ ثـمـ بـدـءـ  
ـ يـجـيلـهـاـ فـيـ أـحـدـ الـأـدـوـاجـ.ـ فـجـلـسـ مـلـعـورـةـ مـرـبـكـةـ.  
ـ نـمـ سـعـمـتـ بـقـوـلـ بـسـرـعـةـ:  
ـ يـجـبـ أـنـ تـرـحـلـيـ.ـ أـلـيـسـ هـذـاـ مـاـ تـرـيدـهـ لـلـعـودـةـ إـلـىـ اـنـكـلـتـراـ؟ـ

ـ أـمـسـكـ بـعـضـ الـأـورـاقـ الـقـدـيـمـةـ فـيـ يـدـهـ،ـ وـقـدـمـهـ إـلـيـهـ يـنـفـاذـ صـبـرـ  
ـ فـنـظـرـتـ بـعـيـاءـ إـلـىـ الـمـالـ الذـيـ رـمـاءـ إـلـيـهـ.ـ لـقـدـ نـعـنـتـهـ بـالـمـيـتـةـ،ـ إـنـ فـوـ  
ـ يـدـفعـ لـهـاـ..ـ وـأـحـسـتـ بـالـغـيـاثـ.  
ـ قـالـ بـصـوـتـ حـادـ حـرـقـهـ كـالـأـسـيدـ:ـ «ـخـذـيـهاـ،ـ خـذـيـهاـ وـارـحلـيـ»ـ  
ـ وـهـذـاـ مـاـ قـعـلـهـ،ـ بـالـطـبـعـ.ـ فـهـلـ كـانـ عـنـدـهـ خـيـارـ آخـرـ؟ـ  
ـ وـسـرـعـانـ مـاـ رـحـلـتـ لـأـ تـلـويـ عـلـىـ شـيـءـ.ـ وـلـكـنـهاـ وـصـلـتـ وـهـيـ لـاـ  
ـ تـدـرـكـ إـلـىـ الـاصـطـلـحـ حـيثـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ تـرـيشـاـ،ـ وـضـمـنـتـهـ إـلـيـهـ وـكـانـهـ  
ـ جـيـوـانـ مـسـكـنـ جـرـحـ.

ـ لـمـ تـخـبـرـ غـرـيـشـاـ بـسـبـبـ رـحـيلـهـ،ـ لـأـنـ لـنـ تـصـلـقـ أـبـداـ.ـ فـهـيـ نـفـسـهـاـ لـمـ  
ـ تـكـنـ تـصـلـقـ مـاـ جـرـيـ،ـ لـأـ تـصـلـقـ نـدـالـةـ غـودـفـريـ وـلـأـ الـجـمـعـ الـمـحـرـقـ الـذـيـ  
ـ اـكـشـفـتـ فـيـ نـفـسـهـ،ـ وـلـأـ الـآـلـمـ الـنـيـةـ وـالـاحـتـقارـ.  
ـ فـيـمـاـ بـعـدـ وـخـلـالـ تـلـكـ السـنـاتـ جـمـيعـهـاـ كـانـتـ تـعـودـ إـلـيـهـ ذـكـرىـ  
ـ ذـلـكـ الـأـسـبـوعـ حـيـةـ.ـ وـكـانـ كـلـمـاـ اـقـرـبـ مـنـهـاـ رـجـلـ تـذـكـرـ حـالـهـ وـهـيـ بـنـ  
ـ ذـرـاعـيـ فـرـانـكـوـ مـوـنـتـاغـيـوـ دـوـ سـانـكـورـ،ـ فـيـصـيـهـ الـجـمـودـ.ـ فـيـ النـهاـيـةـ،ـ  
ـ أـنـدـتـ تـأـخـدـ الـحـيـطةـ وـالـحـذـرـ لـلـأـلـلـاـ بـقـرـبـ مـنـهـاـ رـجـلـ.

ربما كانت مخطئة في هذا . ربما لهذا السبب ما زال الألم حياً إنما دفيناً وقاتلاً ربما لهذا السبب لا تطبق حتى الذكري .

عندما اشرقت الشمس أذادت رأسها إلى مؤخرة الشجرة وكانت  
وجنتها مشعثن بالدموع . . إذا كان الألم ما زال كامناً في داخلها وإذا  
كان الافتتان ما زال أيضاً فربما قلسا عدتها الله على العروء والافتتان .

من مكان ما في البستان، سمعت وقع أقدام. فتفوّقت في مخيّتها لحظة لأنها تعرف من القادم. فلا يمكن أن يكون فرانكو قد نام أيضاً. راقبته بالمّا هو يعتقد.

كان يقتضي الستان مرتدًا كيتما كان ثياب الفروسية، أحسّ أنه  
ارتدى أول ما وقعت يده عليه.

خرجت من تحت الأغصان، وما أن رأها حتى برق عيناه... ثم سرعان ما انفتحت تعابير وجهه كلها.

قال بصوت خفيض: «لا حاجة إلى الهرب. لقد أسللت فهمك ولكن أرجوك لا تجزعني فلن يحدث ذلك لك مرة أخرى».

卷之三

أرجعوا - ما - ك - ة - القديم؟

بحوث؟ أنقوم بإجراءات استثناءات بستان تردد ... أنا عالم كيميائي.

سحق: «مع أن الاستفتاءات ليست أصعب، إن سهل»، في المقدمة، الأخير في، باريس.

أعما هنا حين أكون بحاجة إلى التشكير.

٢- لک: لا تحتاج مختبر او إلى شيء مشابه

Digitized by srujanika@gmail.com

ضحك عالياً:

هذا صحيح

ضحك غربنا ولكنها كانت تفكـر . فهـذا جـاتـب جـديـدـ منـ شخصـهـ لمـ تـكـنـ مـسـعـدةـ لهـ . كـانـ تـظـهـرـ لـاـ يـهـمـ إـلـاـ مـلـاـيـرـ فـيـماـ كـانـ مـعـتـلـينـ جـوـادـيهـمـاـ قـالـتـ

- أـنتـ عـابـتـ عـالـيـيـ

أـرـفـقـ حـاجـبـهـ . وـمـنـ أـيـنـ لـكـ هـذـهـ الفـكـرـ ؟

- أـشـاحـتـ وـجـهـهـ عـهـدـهـ . أـنـ الـأـخـبـارـ الـيـ تـرـوـيـ عـنـكـ

لـلـأـنـاسـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ حـظـ اـورـقـ مـشـرـ لـلـشـائـعـاتـ . كـانـ

الـكـارـبـيـوـهـاتـ . ،

- مـاـذـاـ ؟

- رـيـبـ الـكـارـبـيـوـهـاتـ . نـعـمـ كـانـ الـكـارـبـيـوـهـاتـ مـسـكـنـهـ الـثـانـيـ

نـظـرـ إـلـيـهـ يـفـضـلـهـ . بـيـاـ اللهـ . ،

كـانـ يـبـدـوـ وـسـيـاـ، عـرـبـ الصـيـعـ الـمـتـدـقـقـ مـنـ الـبـحـرـ

وـأـكـملـتـ: «ـوـهـلـ وـرـثـتـ عـنـهـ هـذـاـ كـلـهـ ؟ـ»

- حـسـنـاـ . أـنـاـ لـاـ أـقـامـرـ، إـذـاـ كـانـ هـذـاـ مـاـ تـقـصـدـيـهـ أـمـاـ فـيـماـ يـتـعلـقـ

قـزـ جـوـادـهـ إـلـىـ الـأـمـامـ، وـلـاـ بـدـ أـنـهـ شـدـ الـلـجـامـ . كـانـ ذـلـيـهاـ دـغـمـاـ

عـنـهـاـ يـعـصـرـ غـضـبـاـ وـالـمـاـحـيـنـ يـتـحدـ هـذـاـ .

سـأـلـتـ يـحـذرـ: «ـكـيـفـ أـصـبـتـ هـذـهـ الـإـصـابـةـ ؟ـ»

شـرـدـ فـجـاءـ وـابـتـدـيـ مـاـ فـكـارـهـ ظـلـتـ أـنـ لـيـ يـرـدـ وـلـكـ هـزـ كـثـيـرـ :

- جـرـحـيـ . أـوـهـ . حـدـثـ هـذـاـ فـيـ رـحلـةـ صـيدـ سـمـكـ . اـنـزـلـتـ

- مـحـظـوظـاـ؟ـ

نظرـ إـلـيـهاـ مـتـجـهـاـ: «ـلـأـنـيـ لـمـ لـفـدـ عـيـنـيـ، أـنـاـ آـلـآنـ عـلـىـ الـأـقـلـ أـمـلـكـ

عـمـةـ الـبـصـرـ أـمـاـ الـمـرـأـيـ الـحـسـنـ فـحـرـمـتـ مـنـ

أـحـسـتـ بـالـغـيـانـ وـلـكـنـهاـ قـالـتـ: «ـمـتـ، مـشـ حدـثـ هـذـاـ؟ـ»

قـالـ مـنـ بـيـنـ أـسـانـهـ: «ـلـاـ يـكـوـنـ هـكـلـاـ؟ـ»

- مـاـذـاـ ؟ـ

- حـدـثـ هـذـاـ قـبـلـ مـجـبـيـتـ إـلـىـ هـذـاـ بـغـرـةـ غـيرـ بـعـدـهـ . لـوـ اـنـهـمـنـيـ

بـالـعـابـتـ يـوـمـذـاـكـ لـصـخـ إـتـهـاـمـكـ، ذـلـكـ أـنـيـ كـتـ أـعـيـشـ عـيـنـهـ جـنـونـ

مـطـبـقـ .

وـانـهـيـ هـذـاـ كـلـهـ مـعـ إـصـابـتـهـ، هـذـاـ مـاـ فـهـمـهـ حـتـىـ دـوـنـ أـنـ يـقـولـ ذـلـكـ

أـرـادـتـ أـنـ تـفـسـيـهـ إـلـيـهاـ وـلـكـنـهاـ لـمـ تـجـدـ الشـجـاعـةـ الـكـافـيـةـ . وـسـأـلـتـ

- أـينـ حـصـلـ الـحـادـثـ ؟ـ

- أـينـ؟ـ أـوـهـ تـعـيـنـ جـفـراـفـيـاـ . هـنـاـ، كـانـ تـصـطـادـ السـمـكـ فـيـ قـارـبـ

كـانـ تـقـيمـ حـفـلـةـ مـتـزـلـيـةـ . وـمـاـ حـدـثـ أـقـسـدـ عـلـيـنـاـ مـرـحـاـ .

لـاـ شـكـ أـنـهـ كـانـ يـوـمـذـاـكـ مـحـظـمـاـ نـفـسـاـ . فـيـ مـنـصـفـ الـعـشـرـينـ شـابـ

قـويـ مـفـعـمـ بـالـطاـقةـ، بـوـجهـهـ الـوـسـيـمـ الـوـحـشـيـ، وـجـسـدـ الرـشـيقـ .

وـأـكـملـ: «ـلـقـدـ جـعـلـتـيـ الـحـادـثـ أـكـبـرـ فـجـاءـ . إـنـمـاـ لـيـ قـبـلـ الـأـوـانـ .

لـاـ حـاـولـتـ التـظـاهـرـ بـأـنـ الدـمـوعـ المـخـبـيـةـ فـيـ عـيـنـهـاـ لـمـ تـؤـثـرـ فـيـ صـوـنـهـاـ

وـلـكـنـهاـ قـشـلتـ:

- أـنـاـ أـسـفـةـ جـداـ .

ردـ بـوـحـشـيـةـ: «ـلـاـ تـأـسـفـيـ عـلـيـ . لـقـدـ عـلـمـتـيـ ضـرـبةـ وـاحـدةـ عـنـ النـاسـ

أـكـثـرـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـعـلـمـهـ طـوـالـ حـيـاتـيـ .»

فـكـرـتـ غـرـبـاـ: لـكـنـهاـ لـمـ تـعـلـمـهـ مـحـبـيـهـ أوـ اللـفـةـ بـهـمـ كـثـيرـاـ وـقـالـتـ

بـيـطـهـ: «ـأـلـهـاـ لـاـ تـشـعـرـ بـالـسـعـادـةـ سـوـيـ هـنـاـ؟ـ لـأـنـيـ أـرـاكـ سـعـيـداـ فـمـلـاـ هـنـاـ .

تـشـعـ فـجـاءـ وـلـكـنـ لـمـ تـلـبـثـ أـنـ اـسـرـخـتـ أـسـارـيـهـ: «ـأـجـلـ .

أطلّ في الرد: حتى ظلت أنه تجاهلها لكنه قال كمن انتزع الرد

ـ كدت أحصل على ما أريد يوماً أو بالأحرى أوشكتـ ولكنني  
ـ لم استحقه حتى في تلك الأيامـ  
ـ مـاذا تعنى؟ـ

قال بصعوبة: إن كان ما تريده يعتمد على إرادة شخص لا يمكن أخذة هكذا فإن لم يكن هذا الشخص يريدك فما عليك إلا القتل.

التجويف<sup>٣</sup>. أتى آسفه<sup>٤</sup>. فلما رأى ذلك أخذ بفتح الماء وعلق الماء على سريره فلما أتى بهما وهي المكان الذي تقيم فيه تريشا . ضغطت على شفتيها . كان يضحك لها شيئاً فشيئاً أن تريشا جرحت كرامته . وكان لها هي طريباً بد في ذلك . رفعت رأسها تقول وعقدة اللذب واضحة لم كل خطوط وجهها: «أنا آسفه».

الى حاجة الى جهها: «أنا آسفة». التوى فمه أما جسده الطويل المستقر فوق السرير فبدأ يتحاجة الى استجماع قواه، ولكنها لم تلحظ هذا... حين تكلم كان صوته غاية في

الهندوس  
- لا تغلق - هناك أشياء لا يد لنا فيها

دروسه في النطش يكتسب مهاراته في  
لتقرأها غرباً، فانياً، ويحيى هذا الصبي الكسل.<sup>٤</sup>

هل تستدعيه إلى المنزل إذن؟

- غل تستذهب في سرقة  
ذكراً فرانكو ثليلاً: «عليها ذلك في  
معلم لرفع مستوى إلى نقطة الانطلاق،

1 • 9

- كنت مختلفة في لندن ولكنني كنت مخطئة فأنت هنا في منزلك وديارك.

نظر لها مفكراً: «أنت تدينني أنت أنت بحيوان حرجي؟ أنت على حق كما أنك الأولي التي لا يلاحظ عذراء».

أدركت كم كانت رغبتها في الزواج بتريشا قوية . فهنيء جزء من  
بلده ومن أرضه التي يكون فيها أهلاً لم تكن تريشا جزءاً من العالم  
الخارجي القاسى الذي يشتهر وسيطه . وتدبرت إهانة فحست له ،  
فتشدت يديها على الطعام ثانية . ولكنها كانت ترى أن على فرانكلو ألا  
يقبل الإهانة . قالت يحزن وكأنها تكلم نفسها :

لبيك الزوجة المناسبة لك!

لم يحب فرانكلو . وتابعوا المسير دقيقة وسوانق الجنودين تخب  
فوق الأرض حيًّا مرسلة الغبار إلى سفح التل . . . وكان ينظر إلى  
السماء . أخذ أفال سطه :

- أعتقد أنني لا أؤمن بأشياء مثل «الروحة المناسبة»، «القرار المناسب» فالحياة ليست كتاباً مدرساً فيها الأجوبة على الأسئلة في المؤخرة. فليست في الحياة أجوبة. نحن فقط نتعلّم أنفسنا ما نستطيع به أسلحة ما نملك.

- ولكنك تعرف ما تريده حقاً. أليس كذلك؟ كما تعرف ماذا يمكن أن تختر إن استطعت الحصول على ما تريد من هذا العالم؟

وماذا يمكن أن يدفعه المرء مقابل هذا؟

-حساً.. أجل.. وما يمكن أن تدفعه مقابل هذا؟ نكل شيء ثمن  
عترفة أو بآخرى.

زادت جوادها بحدٍ في مصر ضيق منزلق، ثم أكملت:

ماذا ترید حقاً، فرانکو... إن خُيُّرت؟

إلى المدرسة هنا.

- لماذا؟

نظر إليها سخرية

- أنت لم تلتفت إلى الآن المسخ الصغير الذي سبّك على جميع

زملائه في المدرسة. إنه بحاجة إلى مدرسة يرمونه فيها أرضاً. اعتذر أن أفضل ما قد نجده في انكلترا، لقد تباحثت الأمر أثناء وجودي هناك.

- آلن يشعر أني سلبت حقه في منزله؟

- لقد سلب نفسه هذا الحق لأنه لا يقوم بعمل كما أنه أفلق أني حتى انهارت.

- انكره؟

- لا أعرف الكثير عن الأولاد.. والده.. لا.. لا يمكن لوم طفل.

قال هذا و كان يحاول أن يقنع نفسه، فأحسست غريتا بقلبه يتعرّج عميقاً ولكنها قالت مرحة:

- مَاذا يريد أن يصبح حين يكبر؟ بارون؟  
هز رأسه مستر خياً قليلاً:

- لا.. والشكر له! فهو في الوقت الحالي لا يفكّر إلا أن يصبح بطل العالم في الغطس أو أن يصبح أعظم مخترع أو كلامها على ما اعتتقد.

ضحكـت غريـتا وـقالـت إنـها تـرفض التـرهـيب.. وـكان هـذا جـيدـاً فـقد بدـأ فـرانـكو يـتعلـم قـدـماً إـلـى عـودـة ابنـ أخيـه بـخـوفـ.

وعـرفـت غـريـتا السـبـب حـالـما التقـيـا الصـيـ فيـ المـطـارـ. كانـ مـراهـقاً مـرحـاً مـفعـماـ بالـثـقةـ بـالـنـفـسـ، أـشـقـرـ اللـوـنـ مـفـتوـحاـ وـلـكـهـ لمـ يـكـنـ يـطـيقـ النـظـرـ إـلـى فـرانـكوـ. تـذـكـرـتـ غـريـتاـ أـنـ فـرانـكوـ قدـ أـخـبـرـهاـ عـنـ هـذـاـ، وـلـكـهـ ذـهـلتـ مـنـ الصـدـمةـ حـينـ رـأـتـ ذـلـكـ بـأـمـ عـبـتهاـ. الـأـمـ الـوـحـيدـ الـذـيـ

جعلـهاـ تـطـيـقـهـ هوـ تـعـاسـةـ هـذـاـ الصـيـ الـذـيـ لمـ يـكـنـ يـدـركـ مـدىـ تـأـثيرـ نـفـوـرـهـ

فيـ عـمـهـ.

راـقـبـهـ بـشـفـقـةـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ وـفـرانـكوـ يـحـاـوـلـ التـقـرـبـ مـنـهـ، وـلـكـهـ لمـ يـلـقـ إـلـاـ الصـدـرـ الـواـصـلـ نـفـسـهـ ثـمـ فـقـدـ فـرانـكوـ أـعـصـابـهـ، فـرـاحـ الصـيـ يـلـوـيـ

أـرـتـاكـاـ، وـعـادـ إـلـىـ عـدـائـهـ.

حاـوـلـتـ غـريـتاـ التـدـخـلـ وـلـكـنـهـ لـمـ تـنـجـحـ. لـكـنـهـ عـادـتـ فـنـجـحـتـ فـيـ

الـتـقـرـبـ مـنـهـ وـكـانـ هـوـ مـنـ لـفـتـ نـظـرـهـ بـشـأنـ مـاـ اـهـتـمـ عـمـهـ مـنـ هـزـالـ.

وـقـالـ لـهـ بـعـدـ لـعـبـةـ تـنسـ قـامـ بـيـتـهـ:

- أـرـىـ صـيـ مـرـعـفـاـ.. أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ هـلـ أـثـرـ فـيـ الزـوـاجـ؟

كـانـتـ غـريـتاـ تـرـاقـبـ فـرانـكوـ بـنـفـسـهـ قـلـقـةـ فـهـيـ تـرىـ يـشـرـهـ تـمـلـأـهـ بـوـنـ

عـظـامـهـ وـكـانـهـ اـسـتـفـدـ كـلـ اللـحـمـ وـعـاـشـ الـآنـ بـقـوـةـ الـإـرـادـةـ فـقـطـ.. وـكـانـتـ

تـخـشـيـ أـنـ يـكـوـنـ هـذـاـ رـدـ فـعـلـ لـفـقـدـانـهـ تـرـيـشـاـ لـهـاـ لـمـ تـجـرـوـ عـلـىـ إـثـارـةـ

الـمـوـضـوعـ، وـلـكـنـهـ تـعـرـفـ الـكـثـيرـ عـنـهـ، تـعـرـفـ مـثـلـاًـ أـنـ قـادـرـ عـلـىـ التـعـاطـيـ

مـعـ عـاطـفـةـ لـاـ يـرـحـ بـهـا.. وـقـدـ يـنـهـكـ نـفـسـهـ حـتـىـ الـمـوـتـ لـمـ يـضـحـكـ،

وـهـذـاـ يـالـضـيـطـ مـاـ يـفـعـلـهـ الـآنـ، وـكـانـ يـؤـلـمـهـ مـاـ تـرـىـ.. وـهـاـ هـوـ الـآنـ هـذـاـ

الـوـلـدـ يـلـاحـظـ هـذـاـ.. مـاـلـهـ يـخـفـةـ؟

- أـنـظـهـ أـعـزـ بـطـيـعـتـهـ؟

نـظـرـ إـلـيـهاـ الصـيـ يـوـقارـ، فـادـرـكـتـ أـنـ لـيـسـ صـغـيرـاـ كـمـ يـحـاـوـلـ أـنـ

يـنـظـاهـرـ، فـقـدـ كـانـ وـجـهـهـ الـفـتـيـ الصـافـيـ قـلـقاـ:

- لـاـ اـعـتـدـ هـذـاـ.. مـعـ أـنـ وـالـدـيـ كـانـاـ يـقـولـ أـنـ لـنـ يـمـكـنـ مـنـ إـيجـادـ

زـوـجـةـ.

كـانـ هـذـاـ أـمـرـاـ غـرـيـباـ فـكـيفـ سـمـحـاـ لـوـلـدـ بـالـاصـحـاءـ إـلـىـ حـدـيـثـ كـهـداـ،

وـلـكـنـكـيـ أـتـذـكـرـهـ. نـظـرـتـ غـريـتاـ إـلـيـهـ بـاسـتـغـارـ، فـيـدـاـ لـهـاـ وـاضـحـاـ أـنـ

يـكـرـهـ هـذـهـ الـذـكـرـىـ. أـرـدـ مـحـاـوـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ عـفـوـيـاـ:

- رـبـماـ لـأـنـ بـشـعـ جـداـ.. أـلـيـ منـ سـبـبـ لـهـ ذـلـكـ الـجـرـحـ.. أـتـلـمـيـنـ؟

ذهرت غريتا، وقالت هامسة، وارتفعت يدها إلى خدها: «آه، لا!»

نظر إليها اليكسي بعد لفيف بوجاهة:

- هذا يظهره كفرانشتاين.. أليس كذلك؟

- سأتأت مذهولة وكأنما نشأت نفسها: «كيف؟»

- ثقائلاً.. عمي فرانكون سلبي صدقة أبي.. وأبي.. أقسم أن  
يشوه وجهه الجميل وشوهه فعلًا

بذا الصبي وكأنه يذكر الرواية التي قصها عليه أبوه.. كان يبحث  
الرجل الميت مثيراً للغيرة.. عرفت غريتا أن لونها يبيض شحومياً، فنظر  
إليها اليكسي بخجل.. ثم أشاح بصوره عنها.. ولكنها فهمت أن ما  
فعله أبوه بفرانكون، هو ما يسبب له الذعر من العرج، إنه يشعر بالخزي  
والعار!

عقدت ذراعيها بعترية حوله.. كانت حتى الآن حريصة في  
نصرافاتها ولكنها في هذه اللحظة لم تفكر في هذا حتى.. يادلها اليكسي  
عناقها بحماس.. ثم قال بصوت خفيف:

- قال أبي إن الرجال يسددون ديونهم بهذه الطريقة.

احسنت غريتا بغضب مفاجيء:

- بل هذه طريقة التلاميد الشريرين في تسديد ديونهم.. لا طريقة  
الرجال.. إسأل عنك إن كنت لا تصدقني  
رفع اليكسي رأسه، وكانت عيناه مقرورتين بالدموع، وقال باقتئاع  
مطلق:

- لا أستطيع التحدث إليه بالأمر.. فهو يكرهني دون شك.

- يكرهك؟ لماذا؟

ابتلع ريقه بصعوبة:

- بسبب والدي الذي شوهه.. والأمر صحيح بالنسبة للفتيات

أيضاً.. فترى شالم تطرق مرآة.. لكن لا تشمطين أنت؟  
ردت بثبات: «لا، لا أشمط».

عاد اليكسي إلى ذكرياته: «كانت أمي ترفض النظر إليه لما رفضت  
أن تلقط لها الصور إذا كان على مقربة منها هذا ما أخبرته جدتي؟  
ـ سأله: «اليكسي، أليس عجل؟»

ـ بدا ملهولاً..  
ـ أعني، هل تشمط كلما نظرت إلى وجه عمك؟

ـ بدا حائرًا: «لا».

ـ إذن هذا هو ما يهم.. قلبس رأي والديك هو المهم بل ما تشعر به

أنت.. لم يتثنع فأناشت بالعجز لأنها ما عادت تعرف ما تقول.. فإن

طلبت منه ألا يشيخ وجهه كلما تحدث إلى عمه دفعته إلى الشعور بما

يفعل أكثر..

ـ في النهاية، قررت أن تكلم فرانكون.. واختارت اللحظة المناسبة

بحذر..  
ـ كانا يعتليان ظهور الخيل على الشاطئ، وكان شعره يتظاهر وهو

معنوي فوق عنق جواده.. حين توقد سحب نفساً عميقاً فبدأ أحدهما حالاً

ـ وأخفق توبراً من أي وقت مضى..

ـ فرانكون..

ـ نعم..  
ـ قربت جواردها من جوارده، الذي كان يرعى بعض العشب البحري

ـ أتعرف أن اليكسي يعرف كيف أصبحت بالعجز؟

ـ أدار عينيه الخضراء ببرؤوس إلبيها وقد أزدادتا أسوداً.. بدأ برقة فرعوناً،  
ـ فما كملت بهدوء، وكانتها تقدم الدليل..

ـ أخبره والله..

أغمض عينيه .. فاكتملت

- يظن اليكسي أنه تلومه ونكرهه.

فتح عينيه بحدة، وسألها هاساً: «ماذا تقصدين؟»

- أعني أن عقدة الذب تأكل قلب الولد المسكين كلما وقعت عليه

عليك.

- الذب؟ لكن لماذا يحق له؟

ردت بصوت هادئ، وكأنها تحدث نفسها:

- إنه يرى أنه غير سعيد .. ويشعر بأنه عامل مشارك يتعاستك ..  
يحس بالغحول، ولا يعرف كيف يصلح الأمور .. للملك يحاول الابتعاد  
عنه.

تغيرت أسمارير فرانكو، وقال من بين أسنانه:

- اللعنة على بيورو الذي كان دوماً عديم المسؤولية .. لكن لماذا  
بحق الله آخر المصي ..

تذكرت ما أحست به عندما سمعت تناخر بيورو بما أتجزءه ..  
فأمكنت لسانها.

تابع فرانكو متوجهما: «على وعلى اليكسي التحدث».

قالت بطريقة لا إرادية «لا تحفه».

نظر إليها بازدراء، ورفض أن يقول شيئاً ثم هز جواده المتعدد الذي  
تحرك عائداً إلى «الكونينا».

لكن، حين شاهدتهما مرة أخرى، أدركت أنه لم يكن لمحاؤفها  
أساس .. فقد كانتا يسران معاً على حافة العجرف المؤدي إلى المكان  
الذي يضع فيه فرانكو مراكيه .. وكانا يتحدثان بصمت .. فيما كانت  
تققدم إليهما سمعت اليكسي يقول: «وكلت على وشك أن أصبح  
جيداً».

سؤاله فرانكو:

- بقدر من؟ بقدرتك أم بقدر معلمتك؟

- المعلمة .. مع ذلك أرادت أن أستمر في الدروس ..

صحيح فرانكو:

- يا لمكريكا! حسناً! إذا برهنت لي أنه كفؤ وأنك لن تفرق نفسك  
دفعت لتأمين المزيد من الدروس لك، هذا إذا تجحت في دراستك.

ابضم اليكسي لها، وبرقت عيناه فحسبت غريباً لتفاسيرها. إنها المرة  
الأولى التي تراه ينظر فيها إلى وجه فرانكو.

- هذه رشوة .. ومن غير المفترض رطبة الأولاد ليعملوا.

يداً فرانكو متابعاً ثم قال: «من يقول هذا؟»

رد اليكسي وكأنه محترف: «طبيب الأولاد النفسي».

وابضم ابتسامة أخرى، فبدأ شبهاً بعمه فقال فرانكو:

- أعتقد أنني مأغرفك إلى «ميكانيلي».

- ومن هو؟ خبير غضب؟

- إنه كاتب إيطالي من القرن السادس عشر، عنده أشياء مشتركة  
معك.

راح يتلاعب بشعر الصبي بحركة غريبة خجول أظهرت أنه لم يفعل  
هذا من قبل. ولكن اليكسي تقبلها بمرح وقال: «آه المزيد من  
الدروس».

ـ تعال إلى مكتبي بعد العشاء وستبدأ معاً

- تحن؟

صحيح فرانكو له:

- إن لم أحاول إنعاش ذاكرتي سبقني وتقدمت علي.. وعندئذ لن  
أعود سيد المنزل ولأنني أرفض المجازفة .. سنقر أبداً.

ـ بدأ على ابن أخيه الدعثة والرضي معاً، ووافق إنما على مضمض ..  
في تلك اللحظة تقدمت غريباً إليهما بدون أن تثير إلى التغيير الذي طرأ

على علاقتها.

كانت سعادة كبيرة لها أن ترى فرانكو سعيداً برفقة الكسي و هذه السعادة ازدادت في الأسابيع التالية و خففت من توقيت البارون بعض الشيء. كانت تعتقد أنه يجهد نفسه بالعمل، لكنها حين قالت له هذا، نلتقت ودا فاسياً كاد يؤذني إلى جدال. لكن عندما وصلت البارونة من لندن، ذكرت الشيء نفسه فنظر إليهما بتفاؤل صبور.

- لست متعباً أو مريضاً كما أني لا أعمل جاهداً... والواقع أثني ذكر في إقامة احتفال بمناسبة زواجهما ستكون حفلة راقصة تمام هنا في «الكونينا» وسندعو إليها الجيران وبعض الأصدقاء من الأتكلير وسنطلب منهم ارتداء ثياب فولكلورية.

وتركتهما بسرعة قاصداً مكتبه. تنهدت البارونة وعيست في وجه غربتها... ولكن غربتها لم تشعر بالمرح... فقد سمعت في هذا الصوت المتوتر صدى شيء أعمق وأمر كثيف. إن فرانكو يقترب إلى الحب الحقيقي، وهذا جعلها تشعر بالألم لأنها تعرف جيداً هذا الشعور للذى ليس من الاصفات من أرادته ليبدو محظوظاً الفؤاد.

نهرت نفسها فجأة... أتعرف ما هو هذا الشعور؟ ما هذا؟ قفي لم تحب قط مما حدث هنا في هذا المنزل بالذات، ومع هذا الرجل، منهاها من الوقوع في الحب، وجعلها تختلف قلبها بالتلذع عشر سنوات لم يقترب خلالها أحد منها.

ما دامت لم تسمح لأحد بالاقرابة منها فلماذا تجلس هنا تكبح الدموع لمجرد التفكير في أن فرانكو يتالم؟ كان الرد واضحأ، وصاعقاً فربما هو يحب تريشا إنما ذلك لن يؤثر في شيء. فغربتها تجده، ولربما أحبه طوال السنوات العشر دون أن تدرك.

لهذا السبب أحسنت بأنها لن تستطيع تجده بين النقبا ثانية، ولهذا

السبب كانت مستعدة للتخلص عن حياتها والزواج به. إنها تجده منه زمان طويلاً، وهذا ما ذكرها برفيقها العازفة التي كانت تدفعها مراراً إلى أن تحضنه. ها هي الآن تفهم حقيقة شعورها هذا. إنه الحب وال الحاجة إلى تقديم العون من من تحب. لا شك أنها كانت مجونة لأنها لم تدرك هذا من قبل.

عندما وصلت إلى هذا الحد من التفكير عجزت حتى عن رد ابتسامة البارونة المتأمرة ولكنها، وتحت ضغط نظرها الممتعة، ردت بابتسامة لا معنى لها، وخرجت بسرعة. سارت في الحديقة الباردة الجو مشتملة الوجنتين... هل عرف فرانكو ما بها؟ هل هذا ما جعله يشتهر منها؟ أم تراه غير غير عابر؟ البة بسبب ولعه الشديد بتريشا؟

فهمت الآن لماذا لم تكن تطبق أن يعاشرها معاشرة الأزواج. لم يكن للأمر علاقة بحسابيتها المفرطة، أو بخوفها من التورط العاطفي والجسدي... بل كانت كلما لمسها تحس بأنها تزيد منه أكثر مما يستطيع أن يعطيها.

أوه... يا الله... ما هذا التشوش؟ مسكن فرانكو... وما أشد غيابها لأنها لم تدرك قبل الآن حقيقة مشاعرها... كيف لها أن تكون على هذه الدرجة من العمي والغباء؟ ثمة الآن أمر واحد تستطيع القيام به هو ألا تجعله يشعر بأن جبها له عبء عليه. لقد تزوجها حتى تدعوه ومشاركة المسؤولية لذا قد لا يرغب في تحمل عبء حب فتاة فنية، لم يكن لديها الذكاء الكافي لتفهم شعورها.

لكن قرارها الجديد صعب تطبيقه مع أنها بذلك ما يوسعها... غير أنها كانت تحس بالألم لأنها تفقد بذلك رفقة فرانكو فهي تجده لأنها مضطرة إلى كبح لسانها، وإلى كبح مشاعرها وهذا أسوأ بكثير. تساءلت عما إذا كان قد لاحظ هذا. كانت أحياناً توقن أنه لاحظ

حيها وذلك يحدث غالباً عندما تستقر علينا بسخرية وهي تختلق الأعذار  
لعدم الخروج معه، أحياناً أخرى كان يقبل عذرها بدون أن يسأل وكانت  
دوماً تذرع بالتحضير للحفلة الراقصة.

وفي الواقع أن الحفلة الراقصة كانت تعطلب منها وقتاً فاما أنها عمل  
كثير، عليها تحضيره كإعداد لائحة بأسماء الأطعمة ولائحة بأسماء من  
متذعوهن وأخرى بالغرفة التي يجب أن تستخدم... وفي غمرة انشغالها  
كادت تنسى أن تحضر لفتها زياً لأن فرانكو أصر على تنفيذ ما  
يريد، وعليه ستكون الحفلة نذكرة.

قالت البارونة عندما اكتشفت أن غربنا نسيت تحضير زyi لها.  
ـ الأمر سهلـ. ثمة أغراض كثيرة في المخازنـ. فلما أحافظ بكل  
شيء وهذا ما كانت تتعلمه حماتيـ. أملت دائماً أن تجرب ابنة قد تمنعني  
بارتداء ملابسي وهذا الآن قد ياتي عندي ابنةـ.

وكان إن صعدنا إلى الغرف الفارغة في العجاج الشرقي حيث أمضت  
ساعات مسلية تفتيان بين الثياب العreibية في خزانتها القديمة، كان  
واضحاً لغربنا أن البارونة تفتش عن فستان محددـ. وأخيراً وجدتهـ،  
وشفقت غربنا لمرأةـ.

للولعة الأولى بما فستانها غريباً، فهو بدون أكمام تدوره عبارة عن  
منديل كبير معقود عند الخصرـ. فشهقت غربنا: إنه غير محشمـ.

ردت البارونة بسعادة: «أجل وفي غاية الروعة»ـ.  
ـ أجلـ. إنه خلابـ.

حمله البارونة، فرأت غربنا أنه مزيّن برسوم يدوية وأن خطوطـ  
دققة تشبه خيوط العنكبوت تعلقهـ.

وما أن فرددت التسورة حتى تحول الفستان إلى شبكة من التغريمـ  
القات المتفنـ. فصاحت غربنا بلعولـ:

ـ إنه ساحرـ! وهو لا شك يساوي ثروةـ!

هزت البارونة رأسها إشارة الموافقةـ.

ـ اشتراه لي كارلوس من باريسـ. كان المنفصل لديهـ. وسأشر  
سعادة كبيرة إن أرتدتهـ.

وهكذا وافت غربنا ولكن في الواقع كان لديها أشياء أخرى تشغـ  
بالها غير اختيار ثوب الرقص فال يريد الذي حمل إليها قبول الدعواتـ  
حمل إليها رسالة من غودفري يقول فيها إنه مسرور لأن ابنته أخيهـ  
تزوجت من رجل ثريـ. وهذا ميشكل متاعب لها طبعاً لأنه سيأتي بحـ  
عنها عما قريبـ.

تساءلت عما إذا كان يجب أن تظهر الرسالة لفرانكو أم لاـ. لقدـ  
وعدها بالحماية من نوايا عمها السيدةـ، وصدقـهـ. ولكنه الآن مشغولـ  
عنها وهي تحاف الاقتراب منه خشبة أن تفضحـها مشاعرهاـ، فكانـ إنـ  
أخفت الرسالة في درجـهاـ.

ثم وفي الصباح الذي سبق أمسيـةـ الحفلـةـ قـامتـ بـنـزـهـةـ قـربـ قـمةـ  
الحرـفـ الصـخـريـ المحـاذـيـ لـلـشـاطـئـ، وهـنـاكـ ظـهـرـ غـودـفـريـ فـتـوقـتـ  
كـالـمـتـ وـغـارـ قـلـبـهاـ لـرـقـبـهـ وجـهـهـ المـسـرـورـ. قالـ يـحـبـهاـ:  
ـ مـرحـباًـ عـزـيزـتـيـ. عـرـفـ أـنـكـ سـتـرـيـنـ بـهـذـاـ الطـرـيقـ.ـ كـتـ  
أـرـاقـبـكـ.

ـ وأشارـ إلىـ المـنـظـارـ المـعلـقـ فـيـ عـنـتـهـ.

ـ أـتـجـسـ عـلـيـ غـودـفـريـ؟ـ مـاـذـاـ تـرـيدـ؟ـ  
ـ ظـاهـرـ بـالـأـلـمـ:ـ أـوـهـلـ يـمـكـنـ أـنـ تـجـسـ عـلـيـ صـغـيرـنـيـ؟ـ أـرـيدـ أـنـ  
ـ أـنـاكـدـ مـنـ سـعادـتـكـ بـذـلـكـ التـدـلـ المـشـطـوبـ الـوـجـهــ

ـ تـمـتـ بـغـيـظـ وـحـقــ.

ـ كـنـ حـلـداًـ غـودـفـريـ!ـ ظـلـتـكـ تـرـاهـ بـعـدـ مـاـ لـاـ يـضـبــ.  
ـ تـمـكـنـ غـودـفـريـ مـنـ ظـاهـرـ بـمـظـهـرـ الضـعـيفـ الـمـسـكـنــ.

ـ لـاـ أـحـبـ أـنـ أـسـمـعـ تـفـوهـينـ بـهـذـهـ الـكـلـمـاتــ.ـ لـمـ تـكـوـنـيـ مـرـتـقةـ

- لكته قادر على الدفع  
- دعماً.. أما أنا فارغ من إن انتربت هنا مرة أخرى أنا سأؤذنك  
وأقسم إن حاول أن يدفع لك أن أهجره  
ترابع: «أنت مجنونة؟»  
وهذا أمر صحيح.. إنها مجنونة بحبها، ووضعها هذا لا يحسن  
أبداً.

لم يعد هناك مواضع يمكن التكلم فيها فرانكوا، كانت تريشا قادمة إلى  
الحفلة الراقصة، وهذا موضوع لم يلتفت إليه إطلاقاً. لم تستطع أن  
تعرف ما إذا كان يائساً أم أن مجرد رؤية الفتاة الإيطالية يستحق الألم  
حاولت أن تنسى ولكنها قتلت، فقد رد عليها:

- يستحق؟ من يدرى؟ هذا يعتمد على مزاجك الخاص كما  
اعتقد.. لا بد أنك أحبيت يوماً، فهل ندمت؟  
فكرت في تلك اللحظات القصيرة بين ذراعيه وشعرت بمرارة نبله  
لها. ولكن لا تفضل عدم الشعور بهذه المشاعر المعلبة؟  
قالت بتأكيد مطلق: «لا، الأمر يستحق مهما كانت التكلفة».

وضع يده على عينيه: «سأقول على الأرجح الشيء نفسه أحياناً»  
لم تجرؤ على طرح المزيد من الأسئلة لأنها غير واثقة من قدرتها  
على تحمل الرد. سأله عماسيرندي في الحفلة، فقال:  
- أوه.. الذي الزي الذي أريد.. إنه عندي منذ زمن.. لهذا أرغب  
في حفلة تذكرية.

- وما هو؟

- أحزري

- قرصان؟

- لست إنكلزيزاً تقليدياً.

حركت أنفها ساخرة: «أفارس، ليس الرابع عشر، فومانش؟»

في طفولتك كوالدك المسكين الذي لم يكن يرضي عن أحد حتى ولو  
دفع لحمله ودمه.

أدانت وجهها باحتقار:

- يا إلهي.. ما هذه العائلة التي انحدر منها!

دار حولها ليتظر إلى وجهها.

- حسناً.. فكرت في الأمر أنا كذلك حين سمعت خبر زواجك،  
وقلت لنفسي: لا يمكنه أن يعرف كم أنه لا يمكن لصغيرتي غريتنا أن  
تخبره. أما يشأني فالامر بسيط، فلن أقول له شيئاً لو..  
صمت بدون أن يتم الجملة، فرسالته باللغة بسيطة.. نظرت غريتنا إليه  
بقلق: «أنتزني غودفري؟».

لم يحاول الإنكار، لكنه قال بابتسامة خبيثة:

- لا تقدمين بعض المساعدة لعمك العجوز؟

فكرت في فرانكوا، في كبرياته وصدقه وتصورات الاحتقار الذي  
سيديه حينما يعلم حقيقة والدها أيضاً: ولكنها لن تذل زوجها باتصالها  
بهذا الرجل.

ارتدت على عتبها لا تلوى على شيء غرّاج بركض وراءها  
والذهول باد على ملامحه: «غريتنا».

صاحت به، وهي ترکض على المرج.

- افعل ما يدا لك غودفري.. لقد قلت لك في لقائنا الأخير إنني  
سأعطيك المال للمرة الأخيرة وكان عليك أن تصدقني.  
لكن..

التفت إليه بشراسة:

- لن أسمع لك باستزاف زوجي كما استزفتني طوال هذه  
الستوات.. اذهب من هنا!

رد غودفري بارتباك مضحك صادق:

- أنا لست عنكبوتًا... بل فخ عنكبوت، وهذا أكثر رومانسية  
أتحنن لها ساخرًا: «اعتذر ليتها البارونة».  
حينما وصل الضيوف الخففي هو واليكسى. كان ادغار وجانتيت  
سيتبان في المنزل طبعاً... جانتيت ترتدى ثياب سندريلا المزوربة قبل أن  
تحول على يد الساحرة، والسبب أنه زى يمنحها البرودة في ليلة حارة  
كهده. أما ادغار فارتدى زى الفرسان... وكان هناك العديد من  
الفراسقة، لأنه زى سهل التحضير. ولكن ادغار راح يجوب القاعة  
متحدياً القراسقة الآخرين... وأخذ اليكسى، وهو هائم في سماء  
السابعة، يركض بينه وبين عمه.

كان فرانكوا يمرح كثيراً في قلته تحت العوائد والقفز من بين  
أغطية الطاولات للإقبال ضيوفه... أما اليكسى فكان يقوم بما هو أفضل  
من هذا بـ «ملاحتته» رباط حذاء نبيل فرنسي ربطه برباط حذاء شريكه  
وبقائمة إحدى الطاولات... وكان من حسن الحظ أن الجميع يتمتعون  
بحيث لم يعد هناك مجال للتمرر... ووصلت تريشا مع جماعة من أهل  
الجوار مرتدية زى أهليين طرودة... وهو زى آخر يحلب البرودة...  
شعرها مثبت على قمة رأسها يتسلل منه إلى العنق بعض خصلات.  
كانت بكل تأكيد تبدو أسعد من المرة الأخيرة التي رأتها فيها وهذا أثار  
في نفس غريتا بعض الألم.

قالت تريشا غريتا قائلة: «جميلة».  
في الشرفة التي تشرف على الحديقة حيث الحفلة، كانت فرق  
موسيقية تعزف لحن السلام، فأكملت:  
- عمل رائع... وما هذا الفنان الفنان! فهو غلو في التعبير من  
فرانكوا؟

ابتسمت غريتا:  
- فرانكوا دفع لي الإطراء القانوني... لكنه ينبع بنفسه أكثر من أن  
يزرع نفسه بشيء آخر، وظني العنكبوت.

هز رأسه نفياً... فتابعت: «أمستسلم أخبرني».  
- لا... انظري لنعافي ولكن توقيعي الحرجة.  
ضحك غريتا ووعلده بأن تحيطه أكثر مما سيحررها. لكنها  
تعجبت... لم يكن فرانكوا متاعباً فقط، وسررت بشأن ما سيرتدى  
صدمتها.

حين نزل السلام ليلة الحفلة، فهمت سبب تكتئمه... فهو لم يكن  
يرتدى زياً تذكر ياً بل ارتدى سروالاً رمادياً ضيقاً، وسترة طويلة الأكمام  
رمادية مزرونة من الخصر حتى العنق.

سألته غريتا بحرجة: «شيف؟».

آخر القناع من وراء ظهره فإذا هو وجه رمادي كبير مثلث الزوابا  
عليه ابتسامة غبية وفيه عينان واسعتان صفراء... إنه وجه فقط...  
وضعه على وجهه ومد يده بالتحار إلى شاربه فضحك غريتا حتى  
احست بالألم في خاصرتها.

سألت: «اليس لك ذنب؟».

انزع القناع وضحك: «أبلى، وسيبته اليكسى».

وصل اليكسى دروح النكهة تستحوذ عليه... كان يرتدى بدلة فقر  
مخطلة لها مخالف من فرو... فأدرك أن أي أبلى بأن تقنعه بالنوم أيام  
إفراه الحفلة قد تلاشى... فالعلم وابن الأخ سينطلقان للصيد معاً.

قال غريتا:

- أتمنى على الله ألا يحضر أحد من الضيوف في زى فار...  
وضعت قناعها المحملي، الذي يان على وجهها وكأنه قناع  
فينسي، وكان حقيقاً إلى درجة أنها نسب أنها تضنه بعد ساعة، ونظر  
إليها فرانكوا قبل أن يضع قناعه ثانية:  
- تبدين جميلة... أتساءل ما إذا كانت القطط تلاحق العناكب؟  
خفق قلبها يشре، فحاولت تهدته، وقالت بحزن:

لكن فرانكو كان الآن مستقيماً على قدميه، يرقص ببراعة ومهارة.  
كان يبدو عظيماً بالطبع وكانت كلما نظرت إليه تحس بشيء يقتضي على  
خالقها حتى أصبحت تخاف من هذا الإحساس كمالاً تخف شيئاً من  
قيل... فلو شعر فرانكو بهذا... .

كانت البذلة غير العادمة تناسبه... فهو بين جميع الفراشة  
والملائكة بما هادئاً وخطيراً. لقد جعل السروال الرمادي الضيق ساقيه  
أكثر رشاقة من ساق أي إنسان. فعندما كان يرقص كان يحيط به حوا  
رشاقة بربة عنيفة وكانتها للحيوان الذي اختار زيه. وكان القناع،  
الساخر العنكبوت، قطعة حقيقة رائعة.

ملست غريباً تدورتها الشاحبة بأصابع مرتعنة. كانت تعرف أنها  
تبدو جميلة، ربما أجمل مما كانت طوال حياتها. ومع أن فرانكو لم  
يلاحظ هذا إلا أن الضيوف أطروا مظهرها... وعلى وجه واحد على  
الأقل من شاركتها الرقص لاحظت نظرة كانت أبعد بكثير من  
الإعجاب الذي أظهره بالكلمات.

ل لكن كل هذا لم يشكل فرقاً، فقد يقيت تلك الفتاة الجزئية آية  
الثانية عشرة ربيعاً، العالقة في براثن قاسية تقاوم ما تجده شاعرة  
بالهريمة حتى قبل أن تدرك أنها دخلت معركة... عندما رأفته وهو  
يضع يديه على ظهره أسرع عاري لمن اتخدت زي كلوباترا أحس  
بقدتها يجف... منذ عشر سنوات ظلت أن جفاف فمها عائد للخوف،  
ولكنها الآن باتت تفهم المسألة.

أصبح فجأة الجو حائناً... فقد سكنت الليل وعيق بأربع الأزهار  
وزادت المصابيح الملونة الملقة أنواراً غير حقيقة فوق الرقصين من  
حدة الحرارة... وفي هذا الجو الحائق، تخلص العبد من الضيوف من  
أنعمتهم. ومدت غريباً يدعا إلى قناعها، متربدة في التخلي عن تذكرها.  
لا... من الأفضل أن يبقى الستار المعتملي حيث هو

ضحك تريشا، من بعد كان فرانكو يجلس رأسه في ظهر صورة  
عن الأميراطورة جوزفين، وقالت:  
- أووه... إنه في أحلى مرحلة... أليس كذلك؟ خلّب علينا الله  
جميعاً... لكنني أعتقد أنك قادر على إيقافه عند حده لو حاول القيام  
بحركات بطيئة في النهار  
فوجئت غريباً بأعجوبة هذا!

- فعلها ساختاً... فحين يركب الشيطان رأسه يخرج عن طوره.  
ولتكن بالطبع ستر دعيمه عن اللهو كونه الآن رجلاً متزوجاً وزيناً.  
نظرت غريباً إلى الرجل المتزوج الرزين وهو يدور حول  
الأميراطورة جوزفين التي يحيطها نحو باحة الرقصين... وقالت بصوت  
أجوف: «أجل».

من حسن الحظ أنها كانت مشغولة باستقبال الضيوف وتوجههم،  
وطالعها بالمعاجز من السيدات والاهتمام بالبارونة لولا تجهذ نفسها  
وهذا ما أنساها قلقاً لأن ينقلب فرانكو إلى بطلون... وكانت خلال الساعة  
التالية مضيفة ممتازة وكان أن أنسنت وقتها ترافقه هذه، وتحدثت مع  
ذلك وتدور بين الحضور وترقص ثانية... وكانت الموسيقى قوية النغم،  
وكأنها وقع وهي ملتح وكان هذا الواقع يجرها نحو الحلبة مرات

قال لها قرصن يلهث، ما بين رقصين:  
- أنت رائعة... إنهم الآن لماذا تزوجتك فرانكو...  
ردت بعذوبة: «شكراً لك».

وأكمل لها القرصن الإنكليزي:  
- إنه أفضل راقص في الحلبة وهذا ما كان عليه منذ طفولتنا.  
تركته يتقدما إلى حلبة الرقص ثانية وهي تتقول:  
- إنه الوحيد الذي يرقص على الأربعة.

وكانها معلقة في زجاجة منذ زمن حتى نسيت كيف تتحرك أو فيما  
تفكر.. نسيت كل شيء إلا نظرات هاتين العينين الخضراوين اللتين  
تكاد لا ترآهما.  
رفع فرانكوا يده، وانزع قناعه.

\*\*\*

لم يزع فرانكوا أيضاً قناعه حتى أثناء الرقص، كان يُبقي تلك  
الابتسامة الغريبة التي لا تتغير وكانتها قناع حقيقي وقد يكون وجهه  
محبناً أما جسده فلم يكن قط بليغاً في التعبير هكذا. راقبه يدور مع  
كلبياترا وكأنه حيوان مفترس متواتر توترًا ملماً. كانت يداه تمتدان  
كالشعبان وتکادان لا تلمسان بشرة الفتاة، وكانتا تديريانها بالاحتقانة  
شرسة، ثم تمسكان بها، لترمياها إلى الخلف قبل أن تعود مستقيمة..  
ابنعت غربينا يرثها.

استدار قناع القط إليها. فارتدى إلى الوراء مذعورة وابتعدت  
أكثر تحتظل في أطراف باحة الرقص فللاحت تورتها التي  
انعكست منها الألوان القرمزية والخضراء وكأنها لهب تحت الأضواء.  
بين الراقصين تسمّر جسد القط الأفعواني.. رفعت غربينا عينيها  
على مقبض وقد ياتت من حيث تتفى لا ترى فرانكوا بوضوح بسبب  
وجود عشرات الراقصين والمتسامرين. ولكن عيونهما كانت  
مشابكة.. وأحسست ببشرتها تتشقق وكأنه لمسها يحد خبر.  
أوه.. يا الله.. سيعرف الآن.. سيعرف بلا أدنى شك. لا طريق  
أمامها لاختفاء مشاعرها في وقتهما هذه حيث أفكارها مشتبة وجسدها  
مشمر.

ارتدى فرانكوا عن كلبياترا وكان لا وجود لها. وشق طريقه بين  
الحشد الصاحب دون أن يشيخ نظره عن عيني غربينا. بدا أنه لا يلاحظ  
أحداً من الموجودين. كان يتحرك بخفته القط، فخطواته طويلة رشيدة،  
وخفته متنفسة.. ورغم هذا الحشد الكبير وهذا الرقص العشوائي، لم  
تلأس كنفاه راقصاً أو راقصة.. حين وقف أخيراً أمامها، لم يكن قد  
لاحظ أي ضيف مروره به.

وان بينهما صمت، صمت ملموس تقريباً وهو يختلف كل  
الاختلاف عن جلبة الحفلة. وأحسست غربينا بأنها بعيدة عن الواقع..

قال بصعوبة: «هل تراقبيني؟».

لم تندع عدم التهم، بل تقدمت خطوة بحيث التصقت به، وبدون قردد احتونها ذراعاه، فارتجمت ولكن فرانكو أسرع يضمها إليه، فلا مس خده شعرها وتلتفت لمه اسمها فإذا صوته مرتفع.

الأمر مبسوط منه... فشلة حب عظيم، ومشاعر كبيرة وضفوط كثيرة. لبت هذا الليل يضمها في كنهه إلى الأبد لم يكن لذلك فرق عندها، فهي عاجزة عن المقاومة.

عقدت يديها بحنان مسكة بوجهه... فأخذت تحت أطراف أصابعها بخشونة الجرح، ويتوره، ولكنها وقفت على أطراف أصابع قدميها، ومررت شفتتها على طول الجرح القاسي. لم يدفعها عنه هذه المرة.

في هذه اللحظات المجنونة فقدت غريباً الإحساس بمن هي أو أين هي. وحين رفع رأسه، أدهشها أن ترى أنها واقفة مستقيمة وعلى أرض جافة صلبة... ذكرت له ذلك فضحك بخشونة. وقال بصوت حبيب: «ليس لوقت طويل».

مد يده ليفتح البوابة... ودون أن يرفع عينيه عنها، جرّها باتجاه الشاطئ... فهناك كما تعرف، مركب صغير حرم فرانكو على اليكتسي الاقتراب منه. فتساءلت بحدة عما إذا كان يصحب نساء جميعاً إليه. سألتها بسرعة: «ما ياك؟».

هزت رأسها مصدومة لأنها رأت أن أفكارها قد اتصلت بأنكاره. قالت، مع أن كلامها يعرف أنها لم تقل الحقيقة: «لقد تعرّت».

لكن الأمر لم يكن مهمأً فهي تعرف كل شيء عن النساء الأخريات... حتى ولو لم تكن من خلال الشائعات فهي قادرة على التكهن... فكيف له غير هذا وهو بلمسة واحدة يتحولها إلى مجونة؟

## ٩ - وكان الصمت.

سحبت غريباً نفساً يجهد، فاحتق فرانكو رأسه وكأنها تكلمت واضطرب إلى الانتحاء ليلاطف كلماتها. كانت وراءه الحفلة الصاخبة فرأى من وراء كتفه الضيوف يتبعون رقصهم وتسامر هم غير واعين بالزاوية الهادئة التي يقف فيها مضيقاًهما حيث الليل يذرهما بدثار أخفاء عن العيون.

قال فرانكو بصوت منخفض، وكأنه رجاء: «تعالي معّي». ناولته يدها وهي تشعر بالدهشة فاحتوى هذا البد بين كثنا يدّار راماً قناع القط بعيداً يغاذ صبر، ليتظر بإمعان إلى وجهها.

ثم استدار وراح يجرّها خلفه، بعيداً عن الجميع، وبعيداً عن الموسيقى، والطعام، والأضواء، إلى قلب ظلمة الحديقة العطرة، حتى بان المنزل خلفهما أشبه بمنارة من أضواء.

أخيراً تلاشى كل شيء حتى الصمت إذ اتجه فرانكو إلى الشاطئ، وعلى الطريق تعرّت غريباً لكن هذا لم يؤثر في سرعة خطواته. أخيراً بلغ مرامه وكان هذا المرام بوابة صغيرة تقضي من أسفل الحديقة إلى شاطئهما الخاص، وإلى ضفاف الجون الصغير حيث يذهب اليكتسي لصيد السمك... هناك توقف مستندًا إلى البوابة القديمة ممسكاً غريباً بعيداً عنه: «أخيرتي».

لم يعد كلامه أن يكون همساً، وهمست هي أيضاً: «نعم».

تأوهت واضطجعت على ظهرها، تفتح عيناً واحدة، كان الصبح  
مشرقاً ولكن لم يكن هناك التور المبهر الذي توقعه عادة حين تستيقظ.  
حالما صحت جيداً فتحت عينيها معاً وجلست، تنظر إلى ما حولها  
بخوف فعادت إليها ذكرى ما حدث ليل أمس. أوه.. يا إلهي.. ماذا  
فعلت؟

كانت وحيدة ولكن البساط الأفغاني والوسائل الخشنة أكدت لها  
أنها لم تشم وحدتها هنا. واحمر وجهها.

سمعت أصواتاً خارج القرفة نعم هي هنا وحدتها لكن من الواضح  
أن فرانكون لم يترك المركب بعد فسيطر عليها الذعر ثم ما أن افتحت الباب  
الخشبي حتى شعرت بخائفها يعصر.

وقف هناك ينتظر إلى الوراء، كان ما يزال مرتدياً سروال الأمس  
الضيق، وكان على شعره قطرات ماء. وأحست غربتها يأخذها تكتور  
ويحساس عميق بالشوق إليه وكانت تموت خجلاً ولكن حالما الفت  
إليها تمالكت نفسها.

قالت بصوت هادئ «ملؤه عدم الافتراض»  
ـ أرى أنك تخلصت من ذلك اللذاب السخيف.  
ـ بما مصوّقاً، ولكنه ابتسם وجلس على حافة المقعد:  
ـ لقد وقع ضحية أحد الفرسان ليلة أمس.

ـ كان مبتهجاً بشكل يثير الاشمئزاز... فمن الواضح أنها ليست  
المرة الأولى التي يستيقظ فيها بعد حفلة راقصة وهو بين ذراعي سيدة  
مشعة الشعر. وبدا مسترخيًا مسروراً من نفسه... سأله: «كم  
الساعة؟».

ـ ارتفع حاجبه: «المذا؟»  
ـ لدبنا ضيوف.

ضحك: «إنهم دون شك في أسرتهم». فلم يتم أي منهم باكراً مثلك

كانت الأعشاب النامية تكاد تخفي المركب... فترددت غربتها، ونظرت  
إلى اللوح الخشبي على جانب المركب يهتز. حملها فرانكون بدون أقل  
تردد يضمها إلى قلبه وصدره ضاحكاً. حسناً، إنها لا تظن أبداً أنهما  
بحاجة إلى أي نوع من تخاطر الأفكار ليعرف ما هي مشاعرها.

كان المركب مظلماً، ولسبب ما لم يشعل فرانكون مصابحاً، فتقدما  
مشتابكي الأيدي نحو القرفة، يضحكان بأنفاس متقطعة كطفليلين في  
نزة محرمة.

كانت غربتا طوال الوقت تحس بحرارة جسده وبقوته النابعة من  
هذه البد الممتوترة وكانت تشعر بالحمامة الحديدية التي توفرها ذراعه  
الملائكة حول كتفيها. ورغم جميع العوائق التي تمر بهما حرص على الا  
تؤدي نفسها.

كانت القرفة صغيرة... فاضطررا للوقوف متلاصفين... وأحسست  
غربتها برعشة حبساً لامس الهواء البارد بشرتها ولكنها سارت إلى دفء  
ذراعيه. وجلسا على المقعد الخشبي المعلق متعانقين.

تلاذت آخر فلول الخوف فاستجابت له بدون أقل تحفظ...  
ـ أغمضت عينيها وتعلقت به، تسمع نفسها تهمس باسمه وتسمعه يهمس  
باسمها.

أخيراً غرقاً في النوم، في وقت لاحق شعرت به يتحرك ورأته يدثرها  
بالغطاء وكانت هي نصف نائمة فدقت نفسها بين ذراعيه متمنية  
وعادت تغوص في أحلام عذبة شعرت فيها أن هناك من يعني بها عنابة  
لم تشهد لها مثيلاً.

في الصباح استيقظت بيضاء فشعرت بادئاً ذي بدء بشجن أطرافها ثم  
لما تعلمت وجدت أن جسدها كله يولوها ولكنه ألم معنٍ. ثم اشتمت  
رائحة غريبة، وهي ليست رائحة اللافلدر التي تصاعدت عادة من أغطية  
سريرها ووسادتها.

نهاية

كيف يجري على الجلوس ضاحكاً منها؟ كيف يجري؟ أحس بالدماء تحرق بشرتها فكادت تكرهه.

- يدو اتك تعانين من وخز ضمير بعد الصباح الأول لا تفلتي

أشاحت بنظرها عن همنة لو يخف أحمرارها.. وكانت أيامها مطبقة بشدة على البساط الأفغاني

- كم الساعة؟

نظر إليها باستغراب، ثم هر كتبه، وتقدم إلى النافذة ليحني رأسه ويتنظر إلى الخارج، فوتفت أسمعة الشسس على شعره الذي أصبح كحلاً، عندها أحس برطبة مؤلمة تلامس.. وأغمضت عينها.

- إنها الثامنة على ما أعتقد وهذا يعني أن أمانتا وفاتها

فتحت عينها بسرعة: «وقتاً لأي طرض».

تقدم منها: «أعزري».

حضرت البساط الأفغاني وقفت إلى الخلف لتلتصق بخشب المدار: «لا».

بدت الحدة على فرانكو، ولكنه لم يتراجع فتبارد إلى ذهنه أنه يعتبر الأمر كله لعبة.. لا شك أنه قتل هذا داشما، فهو يعرف بالضبط كيف يلمس وما يقول، وكيف يعبد الذكرى يومياً، كما يعرف كيف يرسلها ثانية إلى زوايا البستان.. حسناً.. لن تتجزف معه ثانية، ليس في وضع النهار، ليس وهي تعرف أنها تعجب، وأنه لا يجيها.. ليلة أمس تهورت.. أما هذا الصباح فعليها أن تتعجب ما سيكلفها هذا..

قال لها:

- إذا كنت تشكرين في إيقاظ الناس يأكلوا لشرب الشاي على طريقتك الانكليزية فأؤكد لك إنهم لن يشكرونك أبداً.

تقدم إليها ليمرر فمه بمعونة على أطراف شعرها.. فسحب أنفاساً

بحذر، ولم تسمح لمشاهدتها المتخيزة الصارخة بأن تستجيب..

سرعان ما تراجع فرانكو: «ما الأمر؟»

هزت رأسها: «وماذا سيكون؟»

- أخبرتني أنت.

- أنت تصور هذا.

وأجبرت نفسها على الفتح، فانعقد حاجياء بعبوس شديد: «وهل أتصور حقاً؟»

ثم انزع بحركة سريعة رشيقه البساط عنها، فحاولت التسلك به ولكنها تأخرت فنظرت إليه مذعورة حرقة حزنًا غير خفي.. تبادلا النظارات دون كلام ثم لم يلبث أن أعاد إليها الغطاء الصوفى الذى التقته شاكراً، ولفته حولها أما هو فتمت عبارة مقادها أن الجو في المركب يارد، وهذا أمر غير صحيح

حالما خرج نهضت غرباً من السرير.. كانت تعلم أنه لن يعود قبل أن تخرج هي فشرعت بالبحث بين الثياب المكدسة عن ثابها، وبدلت لها ثابها في ضوء النهار هشة بشكل غريب، كانت بالفعل أشبه بخيوط العنكبوت.. يداً الفستان في ضوء الصباح شفافة تقريباً، وشحب وجهها، كيف كان يبدو ليلة أمس تحت تلك الأضواء الساطعة في الحفلة؟ كيف بدت هي؟ أبدلت وكتها على استعداد لمن يحملها إلى زاوية بعيدة عن الأنوار؟ الغاتيات عادة يعرفن من مظهرهن! لم تفك في هذا من قبل لكن ربما فكر فيه فرانكو.. وبما عندما رأتها مرتدية هذا الثوب الخالع ظن أنها مستعدة لها يريد.

أغمضت عينيها، وأسندت جنبيها المتألم إلى العائط الخشبي.. إنها خلعتها، على أي حال، كانت تعلم ليل أمس: حين رمت حذوها أدرج الرياح، أن هناك ثمة لهذا.

لم يعد أمامها سوى شيء واحد.. سترجع وتصرف.. وكان ما

جرى لم يكن سوى نزوة عابرة.

ضحكت فرانكو ضحكة شريرة ذات مغزى، تجاهلتها لورينا... أما غريتنا فلم تستمط له من غير تركيز وغادرت  
كان فرانكو على حق فما زال معظم الضيوف غارقين في أسرتهم  
ولم يعدوا للنزول إلى الطابق الأرضي حتى الظهرة. وأبانت لورينا  
الطعام جاعزاً في المطبخ، وهناك راح كل ضيف يتناوله متفرداً وفي  
المساء أقيمت حفلة شواء على الشاطئ.  
تمكنت غرينا من إغراق نفسها بدور المضيفة وتحجبت فرانكو  
الذى لم يسع إليها.

لكن أمر ادغار كان مختلفاً. فقد جلس إلى جانبها على الشاطئ  
وهي تقلب التفافق واللحم فوق النار الكبيرة، وكان فرانكو يفتح  
زجاجات المرطبات وجوبيرو يدور بالالأكواب... قال ادغار:  
ـ ما أروع روئتك... روئتكما معاً. لم أذكر فقط بأن فرانكو قد  
يقدم على ذلك.

ـ يقدم على ماذا؟ على الزواج أم على الزواج بي؟  
ـ على الزواج بك طبعاً. ظلتنا أنه منافق مع تريشا... وكنا نعرف أنه  
مفترض للزواج بعد موته بيدرو.  
إذن... حتى ادغار يعرف أن تريشا هي حب فرانكو الأولى  
حسناً... لم تكن الخطوبة سراً ولا حاجة لفرانكو إلى إخفاء مشاعره.  
ولكن ما دامت تعرف هذا فلماذا ألمها سماح ما قاله؟ تحرّك التوعّل  
الخفيف الذي استولى على جسدها طوال اليوم (إلى ألم).  
تابع ادغار دون أن يعني ما يحالجه: «ما أروع أن نراه سعيداً  
هكذا».

ـ كنت تعتقد إنه لن يكون سعيداً؟ أليس كذلك؟  
رد بدون أن يُظهر أقل ازعاج من سؤالها الخبيث: «لا».  
سرعان ما شعرت بالخجل من نفسها ولكنها رأته يلتفت قطعة

واسع جهم الوجه. أشار برأسه إلى حداثتها الموضوع بترتيب جديداً إلى  
جنب فوق الرف الخشبي «ووجدت حذاءك».

لم تلبِّ من الحذاء ولم يدن هو أيضاً. لا شك أن الحذاء وقع من  
قدمها حين حملها بين ذراعيه ليلة أمس. حالما واتتها الذكرى، ذكرى  
ذراعيه وهما تطوقانها شعرت بوجز في قلبها.

قالت بصوت مريض: «لن أتعلّم قبل أن أنزل».  
هز رأسه: «ولكنني لن أحملك».

المد متخفض الآن، واللوح الخشبي لا يتجدد في زاوية خطورة.  
فكأنّ أن قطعته غرينا، بطريقة ما ولكنها كانت تعني طوال الوقت أن  
عينيه لا تفارقانها. حين وصلت سالمة على الشاطئ، لحق بها يخففة،  
وكان قدماه عاريتين.

ـ حسن جداً. إلى الفطور إذن.  
حافظاً أثناء المسير إلى المنزل على وقار محيف.

وعندما وصلا إلى المنزل تناولاً فطورهما في المطبخ حيث كانت  
لورينا تشرف على خدمتهما، وكانت لورينا على عكس غرينا غير  
متزعجة من جاذبية هذا الرجل. لكنها على أي حال لم تكن تموت  
شوقاً إلى رمي نفسها على هذا الصدر أو إلى تسرّع وجهها في الذقن  
الخشنة.

كانت وجية الطعام بالنسبة لغرينا كال Kapooris... وكانت انفعالاتها  
وارتابتها تصاعد مع كل دقة. في النهاية باتت عاجزة عن البقاء دون  
حركة، فراجحت تردد على ملاحظتهما العرحة، بكلمات وحيدة حتى  
بلغت مرحلة عجزت فيها عن الاستعمال. فوقفت متجمدة:  
ـ أشعر بالضيق من العرق. أعتقد أن الاستحمام سيفيدني.

مقاتق ويقول بصوت مرح:

- ما مر به جعله كثيـر الشكـ غير قادر على الشفـة بالناسـ حتى يـعنـ بـحـبـ الـوثـوقـ بـهـ فـهـلـ تـفـهـمـنـ قـصـديـ؟

ترـيشـاـ مـرـةـ آخـرـ .ـ روـتـ بـصـوـتـ جـافـ :ـ أـنـهـ مـاـ تـعـنـيـ؟ـ

ابـسـمـ اـدـغـارـ لـهـ :ـ عـظـيمـ ،ـ إـذـنـ مـنـ الرـائـعـ رـؤـيـتـ مـتـوـقـنـاـعـنـ .ـ

صـمـتـ لـأـنـ ضـيـقاـ آخـرـ تـقـدـمـ يـطـلـبـ الطـعـامـ الـذـيـ تـحـضـرـ غـريـتاـ .ـ

توـقـفـ عـنـ مـاـذـ؟ـ عـنـ مـلاـحـقـةـ قـوـسـ قـرـ؟ـ فـهـلـ أـبـدـ تـرـيشـاـ عـنـ

تـفـكـيرـ وـاـكـفـ بـزـوـجـتـ؟ـ بـدـتـ لـهـاـ فـكـرـةـ اـكـفـانـ بـزـوـجـتـ لـاـ تـطـاـقـ أـكـثـرـ مـنـ

غـيرـهـ مـنـ الـأـفـكـارـ .ـ فـيـ الـأـيـامـ الـثـلـاثـةـ الـتـالـيـةـ لـمـ يـجـدـ الـوقـتـ الـكـافـيـ

لـلـكـلـامـ لـأـنـ بـعـضـ الضـيـوفـ مـكـثـواـ عـنـهـمـ وـلـأـنـهـ أـمـضـتـ الـوقـتـ فـيـ

تـنـظـيفـ الـمـنـزـلـ وـلـكـنـ رـضـمـ الـوـدـ الـذـيـ كـاتـاـ يـعـاـمـلـانـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ بـهـ

الـصـيـنـيـ،ـ أـوـ تـلـمـعـ خـبـ الـأـرـضـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ اـعـتـرـضـتـ عـلـيـ لـوـرـيـتـاـ

بـقـوـةـ،ـ وـلـكـنـ ذـلـكـ كـلـهـ لـمـ يـعـدـهـاـ عـنـ التـفـكـيرـ،ـ فـحـالـمـاـ تـوـدـ إـلـىـ غـرـفـهـاـ

الـمـوـحـشـةـ فـيـ وـقـتـ مـتـأـخـرـ كـاتـتـ تـعاـوـدـهـاـ الـأـفـكـارـ وـتـسـخـرـ مـنـهـاـ كـالـأـشـيـاـ

الـمـرـعـجـةـ .ـ فـيـ النـهاـيـةـ،ـ كـانـ فـرـانـكـوـ هوـ مـنـ فـرـضـ المـواـجـهـةـ .ـ

نـزـلتـ صـبـاحـ يـوـمـ فـوـجـدـتـهـ قـدـ خـرـجـ وـكـانـ لـوـرـيـتـاـ هيـ الـمـسـرـعـةـ فـيـ

إـلـاـمـهـاـ بـأـنـ ذـهـبـ عـلـىـ مـنـ جـوـادـهـ إـلـىـ مـنـزـلـ تـرـيشـاـ،ـ تـارـكـاـ رسـالـةـ تـقـولـ

إـنـ عـلـيـهـاـ اللـحـاقـ بـإـنـ اـسـتـيقـظـتـ باـكـراـ .ـ صـرـتـ غـريـتاـ عـلـىـ أـسـنـاهـاـ

وـشـكـرـتـ لـوـرـيـتـاـ .ـ وـتـجـاهـلـتـ الـوقـتـ الـبـكـرـ الـذـيـ أـشـارـتـ إـلـيـهـ سـاعـةـ

الـمـطـبخـ،ـ وـبـدـأـتـ بـتـلـمـيـعـ الـعـرـاـيـاـ فـيـ غـرـفـةـ الـاسـتـيـالـ الرـئـيـسـيـ .ـ عـمـلـتـ

بـشـرـاسـةـ طـوـالـ الصـبـاحـ حـتـىـ سـمعـتـ أـصـواتـاـ وـصـرـيرـ أـبـوـابـ خـلـفـهـاـ .ـ

دـخـلـ فـرـانـكـوـ بـدـونـ أـنـ يـتـفـوهـ بـكـلـمـةـ .ـ كـانـ يـدـوـ مـعـبـاـ مـغـرـباـ مـتـجـهمـ

الـوـجـهـ وـكـانـ يـحـيـطـ بـهـ جـوـ مـنـ التـصـيـيمـ مـلـاـ قـلـيـاـ بـتـذـيرـ شـرـ،ـ خـاصـةـ عـنـدـماـ

رـأـيـهـ يـقـفلـ الـأـبـوـابـ بـحـذـرـ .ـ

قالـ بـهـدوـءـ :ـ غـرـيـتاـ عـلـيـاـ أـنـ تـحـدـثـ .ـ

ضـمـتـ مـنـقـضـةـ الغـيـارـ إـلـىـ صـدـرـهـاـ نـسـعـرـ بـالـأـسـ،ـ هـلـ قـابـلـ تـرـيشـاـ  
وـفـرـ أـنـ مـنـ السـتـحـيـلـ إـكـمـالـ طـرـيـقـ الـحـيـاةـ مـعـهـ؟ـ هـلـ اـقـتـنـتـ أـنـ عـلـيـهـ إـماـ  
أـنـ يـكـونـ مـعـ الـمـرـأـةـ الـتـيـ يـحـبـ أـوـ لـاـ يـكـونـ؟ـ أـحـتـ رـأـيـهـ فـلـمـ تـشـاهـدـ  
كـيـفـ اـشـتـدـ ضـغـطـ فـمـهـ،ـ وـيـدـاـ لـلـحـظـةـ مـتـائـمـاـ .ـ عـضـتـ عـلـىـ شـفـتـهـاـ  
وـسـالـتـ :ـ عـنـ مـاـذـ؟ـ

لـوحـ بـيـدـهـ دـلـيلـ نـقـاذـ صـيرـ.

- تـلـاحـظـيـنـ دـوـنـ شـكـ أـنـ أـمـورـاـ قدـ تـغـيـرـتـ .ـ

هـذـاـ لـأـنـ قـابـلـ تـرـيشـاـ ثـانـيـةـ وـلـأـنـ عـاـمـلـ زـوـجـتـهـ بـالـحـسـنـ،ـ وـعـاـشـرـهـاـ  
مـجـرـدـ نـزـوـةـ عـاـيـرـةـ .ـ

قـالـتـ غـرـيـتاـ يـاـنـسـةـ :ـ لـاـ أـرـيدـ أـنـ يـتـغـيـرـ شـيـءـ .ـ

رـانـ صـمـتـ قـصـيرـ قـطـعـهـ فـرـانـكـوـ يـقـولـ :

- أـخـشـ أـنـ الـوقـتـ قـدـ فـاتـ .ـ

تـدـفـقـتـ الدـمـوعـ إـلـىـ عـيـنـيـهـاـ،ـ وـقـالـتـ مـنـ بـيـنـ أـنـفـاسـهـاـ :ـ أـرـجـوـكـ .ـ

كـادـتـ لـاـ تـرـاءـ لـأـنـ الدـمـوعـ غـشـيـتـ بـصـرـهـاـ،ـ وـلـكـنـهـ ظـلـتـ أـنـهـ

مـتـجـهمـ .ـ قـالـ بـصـوـتـ كـانـهـ مـتـجـمعـ مـنـ غـصـبـاـ :

- عـزـيزـتـيـ .ـ لـاـ تـظـهـرـيـ هـكـذاـ !ـ

أـبـلـغـتـ رـيـقـهاـ وـحاـوـلـتـ عـثـاـ الـسـيـطـرـةـ عـلـىـ صـوـتهاـ .ـ

- أـسـفـ .ـ إـنـاـ أـحـاـوـلـ أـنـ أـكـوـنـ مـتـعـقـلـةـ .ـ

مـتـعـقـلـةـ؟ـ وـكـيـفـ تـكـوـنـ كـلـلـكـ وـهـوـ يـقـولـ لـهـاـ إـنـ قـلـبـهـ مـلـكـ لـتـرـيشـاـ ?ـ

مـتـعـقـلـةـ؟ـ إـنـاـ تـحـسـ بـرـغـبةـ فـيـ تـدـمـيرـ جـدـرـانـ الـمـنـزـلـ وـفـيـ الـصـرـاخـ وـإـظـهـارـ

أـمـهـاـ لـكـلـ الـعـالـمـ .ـ وـلـكـنـ الـغـلـطـةـ غـلـطـهـاـ .ـ هـيـ مـنـ كـاتـتـ السـبـبـ فـيـ

مـاـحـدـتـ وـعـلـيـهـاـ الصـيرـ .ـ

رـددـ فـرـانـكـوـ مـاـ كـانـتـ تـفـكـرـ فـيـهـ :

- التعقل غير مجيد فهو لم يتعهض كثيراً على أي حال.  
- ماذا.

عندما رأت وجهه صمتت فقد بدا لها رجلاً يواجه معركة يعرف أنها معركته الأخيرة.  
قال ببساطة: «لا أستطيع المضي على هذه الحال...».  
أصدرت آهه خفيفة فانقض وجهه... ولكنها عرفت أنه يعني ما يقول.. فلم تشاهد خط جاداً كما هو الآن. لا شك إذن أن مقابلة تريشا قد أثرت فيه فتحرك الغضب في نفسها وسألته:  
ـ لماذا تزوجتني فرانك؟

ارتفع رأسه وكأنها لطمة، وما أدهشها روبيتها له ضائعاً ذاتها.  
أعجز عن مواجهة الحقيقة بشأن اتفاقهما البارد، لم تدع له مجالاً للتفكير، وسألت بإصرار: «الماذ؟».  
قال بلهمجة من أروعه الاكتشاف: «لقد أنتهك». أخبرته ضحكتها الحقيقة بأوضح من أي كلمات قيادات تسال:  
ـ الماذ؟».

مرر يداً فلقة على عينيه.

ـ كان هذا.. مغامرة.. مخاطرة.. كان علي أن أجرب.. ألا ترين هذا؟ أنا لم أقصد قط إيقاع الأذى بك.  
ولكنها تعazorت مرحلة أن تكون منصفة بمحنة.  
ـ وماذا كنت تعتقد أنه سيحدث؟ أظنت أنتي لن أكتشف الحقيقة؟  
كان رضم سمرة شديد الشحوب.. وقال بهدوء:  
ـ لا شك أن الأمر بدا لك سخيناً ولكنني اعتدت أن بوسعي السيطرة عليه.  
صاحت وكأنها أصبحت بطلن ناري.. فنظر إليها مصعقاً وحاول التقدم إليها لكنه توقف حين انفخت فكان أن ارتفعت يده إلى خده

المثلوم وأغمض عينيه. ثم قال:  
ـ أنا أسف أشد الأسف.. كنت أعمل.

يأمل أن ينسى تريشا؟ صدر عن غربتها تحجب مخنوقي بعضه ضحك وبعضه احتجاج.. فتقدم إلى جانبها بسرعة ولكنها رفت بدها إليه توقيه، ثم استدارت لتجتب وجوده القوي، وعمد هو فوراً إلى التوقف سالباً بقلق لا نهاية له:

ـ ماذا تريدين مني أن أفعل؟

أحبني! كادت تقول له هذه الكلمة. يبدو أن سيطرتها على نفسها ستلاشى فربما لهذا ليس أمامها إلا الخروج من هنا قبل أن تجلب على نفسها وعلى المزيد من الإحراج.

قالت وكأنها تكلم نفسها: «دعني أذهب».  
تحركت حجرته، ثم تراجع ملتصقاً بالجدار، عاداً يديه، فاتحاً راحتيه.. الطريق مفتوح.. فاندفعت تمر به قبل أن تتدفق الدموع المدللة

لو لا عين بصرها المغشى بالدموع، لما اضطررت للذهاب إلى الجون الصغير، الذي فيه من الذكريات الكثير الكثير ولكنها كانت يائسة فتوجهت إلى حيث حملتها قدمها.

أخيراً وجدت نفسها على الشاطئ.. تسير فوق الرمال الناعمة بين الأخشاب التي رماها البحر والثقب الثالث وحاولت أن تستك بعنان أفكارها الجامحة.. يجب أن تعود طبعاً وهي تعرف ما عليها القيام به كما تعرف أن الواقع يحتم عليها أن تكون متهددة.

كانت غارقة في أفكارها فلم تلاحظ اقتراب أحد نحوها. ولكن هذا الشخص وضع يده على كتفيها، فلما رفعت بصرها قالت: «يا إلهي!».

كانت تعرف أن غودفري سيظهر من جديد ومع ذلك فوجشت:

الرمال... خافت لأنها عرفت أن خيبة الأمل أغضبته... فرفعت ذراعيها تحمي نفسها، ولكنها فقدت توازنها. أما غودفري فاندفع إليها بغضب يصربيها ويضربيها حتى فقدت التقدرة على الصراخ. فحاولت بإعادة وحاولت الهرب فلم تستطع.

نعم... فجأة، انتهى كل شيء، فقد ابتعد عنها غودفري وكأنه ليس أكثر من غصن مؤدة. تقوّقت على الرمال ولكنها سمعت صوت اصطدام جسده بالرمال خلفها، فشهقت باكية تمسح عينيها وتحاول الوقف.

للمرة الثالثة في حياتها ترفعها هاتان اليدين وتضمنها إلى صدر قوي العضلات. لم تكن أنفاس فرانكوا قد تأثرت... حين أدار ظهره إلى غودفري دون أن يقول كلمة. أما هي فلطفت اسمه باستغراب وبصوت متهدج. فلما نظر إليها ارتجفت مذعورة وشrustت تقول له إنه لا يمكنه حملها طوال المسافة إلى المنزل ولكنه أسمتها، والغريب أنها رأت في عينيه مرحًا والأغرب أن وراء هذا المرح حنانًا حيرها. وقال لها متعالياً: «حييني غربنا لن أسمح لك بهذا القول مرة أخرى».

لقصمت

\*\*\*

- كنت أنتظرك منذ أيام... ظنستك ستائين في وقت أبكر من هذا. نظرت إليه بغضب، فأكمل: «أعطيت ذلك الولد المدلل رسالة». بدت مرتبة: «اليسكي، أعطيت اليكسي رسالة. لماذا؟». قام غودفري بحركة ذات مغزى، يفرك السباقة باليهاته... حين نظرت إليه بارتباك غمز لها وقال: «المال». وكانت تضحك: «قلت لك يا غودفري إنك لن تحصل على المزيد».

تجاهل قوله:

- أتریدين أن أكلمه بنفسي في المنزل؟ أعدنا ما تریدين؟ وتفقه إحدى قهقهاته الصاحبة العاتية لاظهر لها أنه لا يقصد التهديد تمامًا. بدأت غربنا تدرك أنها لا تعب عنها غودفري كثيراً. وقالت بحرز: «لا!». شدعا إليه بوحشية: «أتریدين كل شيء لنفك، إلا تعلمين أنه أثري رجل على طول الساحل؟».

اكتشفت أن ما حدث بينها وبين فرانكوا في الصالة الكبيرة تركها حالة الوفاض من الشاكل الأقل شأنًا. فتضفت يده عنها.

- غودفري... أنت محظى مخادع... لقد أفسدت حياتي طوال سنوات بمعطاليك ورواياتك عن أبي ولكنني ما عدت أهتم بهذا كله. ولن أسمح لك بامتصاص مال الرجل الذي أحب.

نظر إليها مستغرباً وكأنه لا يصدق ما يسمع: «أنت غبية». ابسمت بخشنونه، قلن يقدر عنها صدق كلماته وقالت تستدير عنه: «من دون شك».

هذه المرة، فعل غودفري أكثر من إمساكها فقد صفعها بقوة، كما كان يفعل في مرافقها، فارتجمت، وفقدت قدمها تماسكهما على

## ٤٠ - أحبني فقط

حملها إلى غرفتها فاحتاجت غربتها بخجل

- أوه .. لا أوه .. حتا أنا لست مريضة!

ضحك لها: «تلقيت صدمة أو قلليل إني أنا من تلقاها».

نظرت إليه مفكرة:

- أتفصد غرفتي لأستريح أنا أم لستريح أنت؟

- للأمررين معاً.

وضحك ثانية قبل أن يدفع الباب يكتنه لم تكن لوريتا قد نظرت صبية الفهودة عن الطاولة قرب السرير، مع أن الغرفة كلها كانت مرتبة ونظيفة ..

تقدم فرانكو إلى السرير ووضعها فيه ببطف .. ثم استقام واقفا ينظر إلى وجهها بقلق:

- بم تشعرين؟

-أشعر بأنني حثالة. لا حاجة إلى هذا الحنان أو إلى هذه الرعاية ..

- بل هناك كل الحاجة

جلس قربها بهدوء ثم جذبها إلى ذراعيه .. لم تحاول حتى المقاومة، بل استسلمت لعناقها وكأنها لم تسمع شيئاً اسمه التحفظ أخيراً ابتعد قليلاً يطلق تنهيدة كانت أكثر من آلة.

- قلت لك إبني بحاجة إلى هذا ولكنني ظننت لن تسمحي لي بالاقتراب منك مرة أخرى  
ووضعت يدها على جانبه وجهه .. ثم استوعبت فجأة ما قاله لها،  
وربعت رأسها تنظر إليه: «ماذا تعنى؟» .  
اشتهدت ذراعاه حولها: «كنت راحلة؟»  
ـ لكنـ  
صمنت تحاول أن تفهم سبب الدفء المفاجيء الذي يطغى على وجهه  
ـ كرر سؤالها: «ـ لكنـ .. ؟» .  
ـ هذا لأنك ما عدت بحاجة إلىـ  
ـ إذن هذا هو السبب. متى كنت لا أحتاج إليك؟  
ـ أغمضت عينيها لثلاثي الإغراء في ابتسامته:  
ـ أنت تربى زوجة وتحتاج إلى تريشا ولكنني صدف أن جئت بشكل عرضي في الوقت المناسب، حين لم تستطع الحصول على تريشا.  
ـ يا فاتني الحسيبة .. لقد هدرت عليك وقتاً أكثر مما هدرته على جميع النساء في كل جهاتي .. لقد ضيعت من عمري سنوات  
ـ فغرت قاتها: «ـ عاذراً؟» .  
ـ ارجف فمه وهو يكرر: «ـ عشر سنوات» .  
ـ فصاحت من أعماق أعماليها: «ـ لا أصدقك لقد احقرتني ولستي بالمبيرة» .  
ـ اشتهدت شفاهه حتى أصبحنا كحد السجين ولكنه حين عاد إلى الكلام كان هادئاً:  
ـ أوه .. إنه طبعي البغيض! فأنا لم أكن أؤمن حقاً أنك مبيرة.  
ـ ابتلعت ريقها بصعوبة: «ـ لكنك أعطيتني مالاً لأرحل» .

جاء دوره للتحقيق بذهول: «عم تحدّثين؟»

انتهت متألمة من الذكرى

ـ سأنتي إن كان المبلغ كافياً

ـ أيض وجهه: «أوه، يا الله...»

ـ لا تذكري؟

ـ يلى أذكري، أذكر كل كلمة قلتها لك، وكل كلمة لم أقلها،  
فليساعدني الله! كيف لك أن تكوني بهذا الغباء؟ وكيف لي أن أكون في  
هذا الساق؟

سحب نفساً عميقاً، ثم أطلقه:

ـ أنا لم أعطك المال للرحيل، بل لم أكن أريد أن ترحلـ . ولكن  
الجميع كان يقول إن هذا أمر غير عادلـ . قلت لي إنك تربدين العودة  
إلى إنكلترا ولأن عمك كان شريراً ولأنه يحق لك يفرصه في الحياة  
اعطيت المال الذي يحملك إلى بلادك صدقني هذا هو السبب لا شيء آخرـ

ـ تذكرت الحدة في عبيه، والتور الغريب الذي بدا عليه وهو  
يعطيبها المالـ . فسألت: «لا شيء آخرـ ». ردـ : «لاـ ، كان هناك شيء آخرـ ، إنما لا أدرى ما إذا كنت  
ستنهيـ .»

ـ اركات غربتها على مرتفعهاـ . فيها أمر يحب أن تفهمـ ، وهو مهمـ  
ـ جداً، بل ربما كان الأهم في كل وجودهاـ . نظرت إلى وجهه قلقة فرأـت  
ـ عينيه الخضراوين قاتعتين وحدرتين ورأـت أثر جرحـ يفضح تورـه  
ـ وقالـت هامـسة: «أخبرـنيـ ، أرجوكـ يا حبيـ .»

ـ أسلـك يدها ووضعـها على وجهـهـ ، يدفنـ خدهـ في راحـتها بشـوقـ  
ـ مقاجـعـ ، الحركة السريعة الخرقـ ، كادـت تقطعـ أنفـاسـهاـ ، فأصابـعـهـ  
ـ كانت ترتجـفـ .

ـ كنتـ أمـنـحـكـ فـرـصـةـ

ـ قـالـتـ :

ـ فـرـصـةـ؟ـ

ـ فـرـصـةـ لـهـبـ منـ الـذـكـرـياتـ الـحزـينةـ وـمـنـ عـمـكـ وـمـنـ

ـ وـابـلـغـ رـيـهـ بـصـعـوبـةـ ، فـقـالـتـ وـهـيـ لـاـ تـصـدـقـ سـمـعـهاـ

ـ لـكـنـ أـبـعدـتـيـ !ـ لـمـ تـكـنـ تـرـيدـنـيـ .ـ

ـ أـدـارـ شـفـتيـ إـلـىـ رـاحـةـ يـدـهـاـ فـجـمـلـتـهاـ النـسـمةـ النـاعـمةـ تـرـجـفـ .ـ

ـ أـلـمـ أـكـنـ أـرـيدـكـ؟ـ

ـ لـكـنـ .ـ

ـ رـفـعـ نـظـرـهـ إـلـيـهاـ .ـ فـإـذـاـ عـيـنـاهـ ذـائـبـانـ ، وـكـأـنـهـماـ نـارـ زـمـرـدـيةـ وـلـكـهـاـ  
ـ اسـتـطـاعـتـ أـنـ تـقـرـأـ بـوـضـوحـ مـاـ فـيـهـاـ مـنـ مـشـاعـرـ :

ـ أـرـدـتـكـ حـالـماـ وـقـعـتـ عـيـنـايـ عـلـيـكـ .ـ كـنـتـ جـمـيـلـةـ جـداـ مـفـعـمـةـ  
ـ بـالـحـيـاةـ ، وـكـنـتـ قـدـ نـسـيـتـ أـنـ النـاسـ قـدـ يـكـوـنـونـ هـكـذـاـ سـعـدـاءـ فـقـطـ بـيـهـجـةـ  
ـ الـحـيـاةـ .ـ كـنـتـ تـضـحـكـيـنـ مـعـ تـرـيشـاـ ، وـمـعـ الـأـوـلـادـ الـذـينـ يـرـكـبـونـ الـخـيلـ  
ـ مـعـكـ عـلـىـ الشـاطـئـ .ـ كـنـتـ أـرـافـيـكـ كـمـرـاـهـقـ وـقـعـ فـيـ الـحـبـ لـأـوـلـ مـرـةـ .ـ

ـ صـدـرـ عـنـ غـرـبـتـاـ صـوتـ غـرـبـ ، فـتـحـولـتـ اـبـسـامـتـ إـلـىـ قـلـقـ .ـ

ـ وـفـاتـ مـرـجـفـةـ :

ـ أـنـاـ .ـ لـمـ أـشـكـ قـطـ أـنـكـ تـمـلـكـ نـحـويـ مـشـاعـرـ .ـ

ـ كـنـتـ حـدـرـاـ لـثـلـاثـ تـدـرـكـيـ حـقـيـقـةـ شـعـورـيـ فـقـدـ كـنـتـ طـفـلـةـ .ـ لـكـنـتـ لـمـ  
ـ أـسـاحـ نـفـسـيـ .ـ

ـ كـنـتـ فـيـ الثـامـنةـ عـشـرـ وـمـاـ هـوـبـسـنـ الطـفـولـةـ .ـ

ـ لـمـ أـعـنـ هـذـاـ بـلـ كـنـتـ بـرـيـةـ .ـ

ـ إـنـ كـنـتـ تـعـنـيـ أـنـيـ كـنـتـ مـرـاحـةـ سـادـجةـ ، فـقـلـ هـذـاـ!

ـ ضـحـكـ: «لـيـسـ هـذـاـ مـاـ أـقـصـدـ ، فـأـنـاـ لـمـ أـشـأـنـ أـنـ تـضـبـجـيـ بـأـسـرعـ مـاـ

ـ يـعـبـ .ـ هـذـاـ كـلـ شـيـءـ .ـ

- قالت تريشا إنك لا تعاشر امرأة تريدها زوجة لك .. وإنك ترفض أن تحمل امرأة تحترمها عشيقتك لك.

- أهلاً ما قالته؟ مني؟

- حين توسلتني لأعبد إليك خاتمت .. كانت فلقة على ما أظن.

- أجل .. سكينة تريشا .. أنا لم أعاملها معاملة حسنة ولكنها صديقة طيبة . ظلت الأمر مبيّن بيننا، في البداية كنت يائساً بشأن أبي والبكي، وكانت تريشا أمامي فبدت لي الحبل المثالي . لكن الأمر كان جنوناً بالطبع وكانت هي من أدركـت ذلك قليلاً لأنها تعرفـني نعم المعرفة .

- إذن كانت على حق؟ لماذا طلبتـ مني قصـاء الليل معـك؟

- أجل .. كانت على حق .. فهذا مناقض لكل مبادئي .. ولكنـ معـك أنت فليسـ اعـدى اللهـ أنتـ تدفعـيـ لـكـسـرـ كلـ القـوانـينـ، بماـ فيهاـ قـوانـينـ الـخـاصـةـ .. أـكـنـتـ تـنظـيـنـ أـنـيـ سـأـمـكـ مـذـ عـشـرـ سـنـينـ؟ كـانـ مـنـ الـمـفـرـضـ أـنـ أـكـوـنـ الـقـارـسـ الشـهـمـ الـذـيـ أـنـذـكـ مـنـ عـمـكـ الشـرـيرـ، وـكـانـ مـنـ الـمـفـرـضـ أـلـاـ أـطـلـبـ شـيـئـاـ لـقـسـيـ .. وـكـانـ مـاـذاـ فـعـلـتـ؟ لـقـدـ هـاجـمـتـ كـمـجـونـ مـرـاهـقـ .. وـيـمـاـ نـسـيـتـ وـلـكـتـيـ لـمـ أـتـسـىـ .. لـمـ أـنـدـ قـطـ عـلـىـ شـيـءـ.

أكثرـ منـ تـدـمـيـ عـلـىـ حـابـلـ مـنـيـ فـيـ ذـاكـ الـيـومـ.

انتـضـتـ، لـكـنـ الـوقـتـ الـآنـ لـبـسـ وـقـتـ إـخـفـاءـ الـمـاـسـاـرـ:

- أـنـاـ لـمـ أـتـسـىـ ذـلـكـ وـلـوـ لـيـومـ وـاحـدـ.

ارتـفعـ ذـفـنـهـ وـكـانـهـ لـكـمـ .. أـرـادـتـ أـنـ تـلـمـسـ لـكـنـهاـ لـمـ تـجـدـ

الـشـجـاعـةـ الـلـازـمـةـ لـتـفـعـلـ ذـلـكـ .. اـتـلـعـتـ رـيـقـهـاـ مـأـرـدـفـ:

- لـمـ يـكـنـ فـيـ حـيـاتـيـ شـخـصـ آخـرـ، قـرـائـكـ .. كـنـتـ أـظـنـ أـنـ السـبـ

هوـ مـاـ سـيـبـهـ لـيـ منـ أـلـمـ.

أـغـضـ عـبـيـهـ، وـلـمـ تـسـطـعـ غـربـاـ تـحـمـلـ نـظـرـ الـآـلـمـ عـلـىـ وـجـهـ

وـأـمـكـتـ بـشـجـاعـهـاـ ثـمـ أـصـافـاتـ:

غـاصـ فـوقـ السـرـيرـ، وـجـذـبـهاـ يـنـظـرـ إـلـيـهاـ.

- غـربـاـ .. حـسـيـ .. لـقـدـ أـحـبـتـ وـلـكـنـ كـنـتـ صـغـيرـةـ عـلـىـ عـمـرـكـ

أـمـاـ أـنـكـتـ فـيـ الـلـاتـيـنـ .. فـمـاـ يـقـرـرـ؟ أـنـ أـنـعـلـ؟ كـنـتـ كـلـماـ رـأـيـكـ

أـزـدـدـتـ فـيـكـ رـغـبـةـ، وـكـانـتـ رـغـبـةـ أـقـوىـ مـنـ لـهـاـ كـنـتـ أـشـعـرـ بـالـتوـرـ

تـرـكـهـ وـتـسـدـدـ عـلـىـ ظـهـرـهـ وـذـرـاعـهـ فـوـقـ عـيـنـيهـ:

- لـهـذـاـ السـبـ قـدـمـتـ اـعـصـابـيـ مـعـكـ ذـلـكـ الـيـومـ، كـمـاـ أـعـيـنـدـ. كـنـتـ

أـمـسـكـ بـزـمـامـ نـفـسيـ بـحـدـدـ طـوـالـ الـوقـتـ وـلـكـنـتـيـ كـنـتـ أـطـلـ الـمـسـتـحـلـ.

تـذـكـرـتـ غـربـاـ فـجـأـةـ كـيـفـ ذـكـرـهـ لـوـرـيـنـ بـحـدـدـ أـنـهـ مـنـ تـزـالـ صـغـيرـةـ

جـداـ .. وـيـدـاـ كـلـ شـيـءـ يـضـعـ. كـانـتـ بـشـابـهـاـ الضـيـقـةـ وـيـسـعـرـهاـ الطـوـيلـ

الـأـشـعـثـ، بـيـدـوـ فـعـلـاـ طـفـلـةـ فـهـلـ كـانـ لـوـرـيـنـ وـالـبـارـوـنـةـ وـأـشـخـاصـ

آخـرـونـ بـذـكـرـوـنـهـ بـفـارـقـ الـعـمـرـ.

قالـتـ بـلـهـجـةـ مـنـ اـكـتـشـفـ شـيـئـاـ:

- كـنـتـ إـحـدـيـ مـقـارـاتـكـ .. أـعـنـيـ، حـيـنـ أـعـطـيـتـيـ الـعـالـ كـنـتـ تـرـيدـ

أـنـ تـرـىـ أـنـ كـنـتـ سـأـهـرـ بـمـاـيـقـيـ فـلـذـاـ هـرـبـتـ خـلـتـ مـشـكـلـكـ .. وـلـنـ لـمـ

أـهـرـبـ ..

لـمـ يـتـرـعـ ذـرـاعـهـ عـنـ عـيـنـيهـ:

- لـسـتـ قـدـبـسـاـ كـنـتـ عـاجـلـاـ لـمـ أـجـلـاـ سـاحـاـوـلـ ثـانـيـةـ.

فـتـكـرـتـ فـيـ الـأـمـرـ لـحـظـاتـ، شـمـ مـاـلـتـ بـنـعـومـ:

- كـمـاـ فـعـلـتـ فـيـ اـنـكـلـرـ؟ قـبـلـ أـنـ تـلـعـبـ الزـوـاجـ مـنـيـ؟

تـوـتـ جـسـدـهـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـرـدـ، أـمـاـهـ فـتـشـرـعـتـ أـنـ حـمـلـاـ تـقـبـلـاـ بـرـفـعـ عـنـ

كـاهـلـهـاـ. فـقـالـتـ بـحـلـوـ:

- أـنـعـلـمـ .. ظـلـمـتـكـ طـلـبـتـ مـنـيـ مـاـ طـلـبـتـ لـأـنـكـ لـاـ تـهـمـ بـيـ بـطـرـيـقـةـ أـوـ

أـخـرىـ.

هـذـاـ مـاـ دـفـعـ الدـرـاعـ الـوـاقـيـةـ لـلـارـتـنـاعـ عـنـ وـجـهـهـ .. وـأـكـمـلـتـ تـشـرـحـ

: لـهـ

لم أدرك بأن هذا هو الحب حتى تزوجنا.  
فتح عينيه باحثاً عن عينيها لايسرهما.. ثم قال بهمس متقطع  
أحب؟

هزت رأسها بحزن.

ـ كان كلما لمستي أحد أو حاول نصفي أذكر يومي الأخير معك،  
في مكتبه حين عانقتهـ . لأنفري ممن يحاول عناقـيـ .  
ـ أوهـ . حبيـتيـ . كان ذلك مجرد عناقـ . وما كان يجب أن  
يتحقق إلى هذا الحد ولعل هذا أدلـ يرهـان على مدى صغر سنـكـ فيـ  
ذاك الوقت كانوا جمـيـعـهم على حقـ . أترـىـنـ؟ـ .  
ردت بشراسـةـ : لم أـخـفـ ، لاـ فيـ ذـاكـ الـوقـتـ ولاـ الـآنـ .ـ أـرـدـتكـ  
فرـانـكـوـ .ـ ماـ أـلـئـنيـ هوـ غـلـيـ أـنـكـ لاـ تـرـيدـنـيـ .ـ وـالـآنـ ،ـ أـعـرـفـ أـنـيـ كـنـتـ  
مـخـطـةـ .ـ هلـ لـكـ آنـ تـجـيـبـنـيـ عـنـ شـيـ بـكـلـ صـدـقـ .ـ فـرـانـكـوـ؟ـ .ـ  
نظرـ إلىـ رـأـسـهاـ المنـحـنـيـ وـقـالـ بـسـاطـةـ :ـ اـتـعـمـ؟ـ .ـ  
ـ أـنـجـبـ تـرـيشـاـ؟ـ .ـ

ـ لاـ .ـ

ـ كانـ رـدـ العـقوـيـ السـريعـ إـلـيـهـ منـ أيـ اـحـجـاجـ .ـ فأـحـسـتـ بـرـاحـةـ  
عـظـيـةـ وـالـفـتـتـ عـيـنـاهـاـ إـلـىـ عـيـنـهـاـ تـلـاقـتـ أـيـدـيـهـمـاـ وـتـشـابـكـتـاـ .ـ

ـ تـرـيشـاـ مـجـرـدـ صـدـيقـةـ .ـ أـمـ أـنـتـ ،ـ فـحـبـيـ .ـ  
ـ أـرـادـتـ أـنـ تـصـدـفـ ،ـ لـكـهاـ شـرـتـ بـالـقـلـقـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ .ـ فـقـالتـ :ـ أـنـيـ  
ـ أـحـدـ الـأـيـامـ .ـ رـبـماـ لـاـ تـذـكـرـهـ ،ـ تـحدـثـاـ عـمـاـ تـرـيدـ فـيـماـ لـوـ اـسـطـعـنـاـ  
ـ الـحـصـولـ عـلـىـ شـيـ .ـ وـقـلتـ أـنـكـ كـنـتـ سـتـحـصـلـ عـلـىـ مـاـ تـرـيدـ يـوـمـاـ،ـ  
ـ فـلـنـ كـنـتـ تـعـنـيـ تـرـيشـاـ غـلـيـ قـادـرـةـ عـلـىـ تـحـمـلـ هـذـاـ .ـ لـكـ أـرـجـوـكـ لـاـ  
ـ نـكـذـبـ عـلـىـ ،ـ وـلـاـ حـتـىـ مـنـ أـجـلـ إـسـعـادـيـ .ـ

ـ اـشـنـدـتـ أـصـابـعـهـ عـلـىـ أـصـابـعـهـ بـشـكـلـ مـؤـلـمـ .ـ  
ـ عـيـنـيكـ أـنـتـ .ـ إـبـةـ الـثـامـنـةـ عـشـرـةـ وـبـعـدـاـ ،ـ حـبـ حـيـاتـيـ .ـ وـقـلتـ لـكـ

ـ يـوـمـذـاكـ إـنـيـ لـمـ أـسـتـحـفـهـ .ـ أـنـذـكـرـيـنـ؟ـ حـسـاـ كـنـتـ أـعـنـيـ مـاـ أـقـولـ .ـ  
ـ أـحـسـتـ فـيـ ذـاكـ الـيـوـمـ أـنـيـ لـسـتـ أـنـفـلـ مـنـ ذـلـكـ الرـجـلـ الذـيـ  
ـ هـاجـمـكـ .ـ وـلـنـ أـنـسـ أـبـداـ الـلـحظـةـ الـتـيـ وـجـدـتـ فـيـهـ فـيـ الـبـسـانـ .ـ فـيـ  
ـ ذـلـكـ اللـحظـةـ رـمـيـتـ غـرـوريـ عـرـضـ الـحـاطـ وـحـاـوـلـ مـغـازـلـكـ .ـ حـيـسـتـيـ

ـ لـبـلـكـ رـأـيـتـ نـفـسـكـ .ـ كـنـتـ شـاحـبـةـ يـاـسـةـ لـلـهـرـبـ .ـ

ـ أـدـرـكـ غـرـبـتـاـ أـنـ الـمـواـجـهـةـ الـقـدـيمـةـ الـعـهـدـ كـانـ كـاـبـوـسـاـ لـهـ يـقـدرـ مـاـ

ـ كـانـ لـهـ .ـ وـرـدـتـ عـلـىـ ضـغـطـ أـصـابـعـهـ تـقـولـ :

ـ كـانـ سـبـبـ ذـلـكـ نـعـنـكـ إـبـاـيـ يـاـيـ بـالـمـيـتـزـةـ .ـ مـاـ كـانـ أـشـدـ خـجـلـ!

ـ وـابـلـعـتـ رـيـفـهـاـ .ـ

ـ كـانـتـ غـلـطـتـيـ مـعـ آنـهـ لـمـ يـكـنـ لـكـ شـأـنـ بـمـشـارـيـعـ غـوـدـفـرـيـ وـاحـتـيـاـهـ .ـ

ـ أـسـكـتـهـ .ـ

ـ لـاـ .ـ لـمـ أـكـنـ أـخـجلـ مـنـ غـوـدـفـرـيـ أـوـ عـاـلـتـيـ .ـ كـنـتـ أـخـجلـ مـنـ

ـ نـفـسـيـ .ـ مـنـيـ .ـ مـنـ الـطـرـيـقـةـ الـتـيـ كـنـتـ فـيـهـ مـعـكـ .ـ أـنـتـ لـاـ نـذـكـرـ .ـ

ـ لـكـ .ـ

ـ قـاطـعـهـ بـحـدـةـ :

ـ أـذـكـرـ؟ـ يـاـ إـلـهـيـ ،ـ لـمـ يـعـرـيـ يـوـمـ مـنـذـ ذـلـكـ الـيـوـمـ لـمـ أـذـكـرـ فـيـ .ـ كـنـتـ

ـ أـسـاءـلـ وـائـمـاـ مـاـذـاـ كـانـ سـيـحـدـثـ لـوـ لـمـ أـتـوـقـ عـمـاـ كـنـتـ سـأـقـدـمـ عـلـيـهـ .ـ

ـ فـهـلـ كـانـ سـيـشـكـلـ هـذـاـيـ فـرـقـ؟ـ فـلـاـ لـمـ أـحـظـ قـطـ يـعـتـراءـ .ـ

ـ قـاطـعـهـ وـهـيـ تـضـحـكـ :ـ إـبـلـيـ .ـ حـظـيـتـ بـوـاحـدـةـ .ـ

ـ قـالـ بـخـشـونـةـ :ـ لـكـتـيـ ظـنـتـ؟ـ .ـ

ـ تـمـتـتـ :ـ أـفـتـتـ أـنـيـ نـيـتـكـ؟ـ أـنـتـ تـسـيـتـيـ أـمـ أـنـاـ فـلـاـ!ـ لـمـ تـفـعـلـ؟ـ

ـ لـقـدـ قـلـتـ لـكـ فـرـانـكـوـ ،ـ إـنـهـ لـمـ يـكـنـ فـيـ حـيـاتـيـ أـحـدـ سـوـاـكـ .ـ كـنـتـ بـرـيـةـ

ـ سـاـذـجـةـ مـنـذـ عـشـرـ سـوـاـتـ ،ـ لـكـتـيـ عـلـىـ الـأـقـلـ كـنـتـ أـعـرـفـ أـنـيـ لـاـ أـرـيدـ

ـ سـوـاـكـ .ـ

ـ أـبـعـدـهـاـ عـنـهـ بـغـضـبـ :

فاطمها: «اتصلت بترisha حالما خرجت وكانت تنتظرني».  
ـ ماذا؟

ضحك بخشنونه: «كانت ترisha تلعب دور «كوبيد» بيـنا. كـنا نتحدث عنك في الأمسية السابقة لأنـي عرفت أـين تعـملـين وبيـدو أنـ شـبـناـ ما أـثارـ رـبـتهاـ، وـلـأـنـهاـ كـانـتـ تـعـدـ النـظرـ فـيـ مـسـائـةـ الزـواـجـ بيـ فـكـرـتـ مـنـ خـلالـ شـيءـ ما قـلـتهـ أوـ لـمـ أـفـلـهـ إـنـيـ كـنـتـ أـكـثـرـ مـنـ مـهـمـ بـكـ قـبـلـ عـشـرـ سـوـاـتـ وـكـانـتـ مـؤـمـنةـ أـنـكـ كـنـتـ تـحـبـتـنـيـ».

حاـولـتـ أـنـ تـحـجـجـ وـلـكـهـ فـاطـمـهـ مـيـتـسـاـ:

ـ يـجـبـ أـنـ أـقـولـ إـنـيـ وـجـدـتـ هـذـاـ مـشـجـعـاـ، لـأـنـيـ حـنـىـ ذـاكـ الـوقـتـ لـمـ أـكـنـ قـدـ لـاحـظـتـ شـبـناـ، فـيـ ذـاكـ الـحـينـ كـنـتـ مـاـ زـالـ مـتـأـلـماـ مـنـ جـرـحـيـ، فـنـمـ أـعـتـقـدـ أـنـ أـخـدـاـ سـيـنـظـرـ إـلـيـ دـوـنـ أـنـ يـصـابـ بـالـغـثـيانـ.

خـاصـةـ قـنـاةـ انـكـلـيـزـيـةـ رـائـعـةـ.. كـانـتـ..

ردـتـ عـلـيـهـ سـاخـرـةـ: «لـاـ تـمـلـكـ مـاـ يـكـفـيـ مـنـ ثـيـابـ».

ـ قـدـ تـكـوـنـ ضـيـقةـ قـلـبـاـ.. وـلـكـنـيـ أـعـرـفـ بـخـيـةـ أـمـلـيـ حـينـ اـكـشـفـ أـنـكـ اـنـتـلـتـ إـلـىـ اـرـتـادـ بـذـلـةـ الـعـلـمـ الرـسـمـيـ وـبـلـوزـةـ العـالـيـةـ الـبـاقـةـ.

ـ لـكـنـكـ قـلـتـ إـنـيـ لـمـ أـنـفـرـ.

ـ كـنـتـ أـمـلـ أـلـاـ تـكـوـنـ قـدـ تـغـيـرـتـ.. لـذـاـ أـحـسـتـ كـلـكـ لـمـ تـتـغـيـرـيـ.. وـكـانـاـ كـلـ مـاـ كـانـ بـيـنـاـ مـاـ زـالـ مـوـجـوـداـ وـهـوـ لـاـ يـعـتـاجـ إـلـىـ حـسـنـ التـعـامـلـ مـعـهـ.

ـ وـهـكـذـاـ حـاـولـتـ إـغـوـانـيـ.

تـذـكـرـتـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ فـيـ الشـنـقـ قـرـبـ الـنـهـرـ حـيـثـ كـادـتـ تـقـعـ ضـحـةـ سـحـرـهـ. وـلـيـهـاـ وـقـعـتـ فـيـ ذـاكـ الـيـومـ!

اعـرـفـ فـرـانـكـوـ: «لـقـدـ جـرـفـتـيـ عـاطـفـتـيـ قـلـبـاـ».

ـ وـجـرـبـ حـظـكـ.

ـ أـرـجـفـ بـسـعـادـةـ: «وـكـدـتـ أـفـقـدـكـ».

ـ لـكـكـ كـنـتـ سـتـرـكـيـ.. الـيـوـمـ.. هـذـاـ الصـبـاحـ.. كـنـتـ مـتـضـيـاـ، وـكـنـتـ سـطـرـحـلـيـنـ.

ـ لـأـنـيـ كـنـتـ أـطـنـ مـاـزـلـتـ تـرـيدـ تـرـishaـ

ضـربـتـ بـقـبـضـتـهاـ عـلـىـ صـدـرـهـ وـهـيـ تـصـحـ وـأـكـملـ:

ـ لـمـ تـنـفـقـ عـنـ الـقـولـ إـنـكـ لـاـ تـسـطـعـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الـأـمـرـ.. نـظـرتـكـ

تـرـيدـهـاـ.

ـ رـدـ سـاخـطاـ: «لـكـنـ يـاـ حـبـيـتـيـ لـكـ أـنـتـ حـبـيـ الـمـتـقـدـ.. اـمـرـأـ وـاحـدةـ

إـسـطـاعـتـ الـتـلاـعـ بـسـيـطـرـتـيـ عـلـىـ ذـانـيـ».

ـ إـذـنـ لـمـاـ مـاـزـلـتـ قـلـتـ إـنـكـ لـمـ تـسـطـعـ الـاستـمرـارـ؟

ـ رـمـاـهـ فـوـقـ الـوـسـانـدـ مـكـشـرـاـ عـنـ أـسـتـانـهـ وـكـانـ بـرـيدـاـ يـعـضـهـاـ:

ـ لـأـنـيـ لـمـ أـسـطـعـ! كـدـتـ أـجـنـ كـلـمـاـ أـبـعـدـتـ يـدـيـ عـنـكـ! وـكـنـتـ

أـعـتـقـدـ أـنـ هـذـاـ مـاـ تـرـيدـتـهـ أـنـتـ.. لـمـاـ فـعـلـتـ بـيـ هـذـاـ وـبـكـ مـاـ دـمـتـ

تـرـيدـتـنـيـ؟

ـ أـحـسـتـ بـدـوـارـ فـأـجـاـيـتـ بـصـدـقـ: «لـأـنـيـ لـمـ أـرـغـبـ فـيـ إـحـرـاجـكـ».

ـ إـحـرـاجـيـ؟

ـ لـفـ أـصـابـعـهـ عـلـىـ عـنـقـهـ، وـقـالـ مـكـملـاـ:

ـ سـاخـنـقـكـ، إـحـرـاجـيـ بـالـلـهـ عـلـيـكـ..

ـ أـحـسـتـ بـوـجـهـهـاـ يـمـنـعـ بـحـرـارـةـ: «كـنـتـ أـكـثـرـ مـنـ مـهـمـةـ بـكـ».

ـ رـفـعـ رـأـسـهـ مـاـوـاـهـاـ.

ـ وـأـنـاـ لـمـ أـكـنـ؟ حـيـنـ دـخـلـتـ إـلـىـ مـتـزـلـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ فـيـ لـنـدـنـ أـحـسـتـ

ـ أـنـ شـبـناـ لـمـ يـغـيـرـ مـنـ دـهـرـ سـوـاـتـ.. وـكـانـ عـلـىـ أـنـ أـحـصـلـ عـلـيـكـ؟

ـ اـرـجـعـتـ أـصـابـعـهـ عـلـىـ صـدـرـهـ الدـافـيـ، وـسـأـلـتـ مـرـجـفـةـ:

ـ أـتـعـنـيـ مـنـذـ أـوـلـ يـوـمـ؟

ـ بـلـ مـنـذـ أـوـلـ دـقـيـقـةـ؟

ـ لـكـنـ..

- ليس الأمر عجياً حبيبي.. لقد فلت للورينا منذ وصولنا إن  
عليها حين تكون معاناً في الغرفة أن تشغلي نفسها، وتتركنا وحدتنا حتى  
ننزل.. وكدت أظن أن هذا احتياط لا لزوم له.. لكنني الآن سعيد  
لأنني لم ألغه.

قالت بدون ضفاعة: «أنت صاحب إغراء كبير لهذا سأسامحك».

- حسناً.. أشكر الله على هذا.. على الأقل أ

قالت فجأة: «ولكن المعجزة حدثت عندما جئت إلى الشاطئ»  
حيث كنت مع غودفري.. إن هذا الحظ مذهل».

- لا.. لم يكن، بل السبب هو البكسي، يبدو أن غودفري يتواجد  
هناك منذ أيام محاولاً إقناع البكسي بأن يحضرك إليه.. حين شاهده  
برفقةك هذا الصباح قرر أن في الأمر ما لا يعجبه فأنا أخبرتني.. إنني  
هذا الولد أكثر مما ظنت.

- أكان يعلم أنه عمي؟

احتضنها فرانكور: «لا، بل ظنه متشرداً فخشي أن يؤذيك».

ارتاحت: «وهل عرفت؟».

أدبار رأسه وقبل جبينها: «تكهنت أنه هو لأنني توقعت أن يظهر  
على الشاشة أحلاً أم عاجلاً».

نظرت بسرعة إلى وجهه، تدهشها لهجهة اللامالية: «أولاً  
نهتم؟».

- أهتم؟ كل ما يعني أنه سبب لك الأذى.. إن عاد للظهور ثانية  
فأشعر باللذة وأنا أرمي من فوق الأدراج، سواء أكان عمك العجوز أم  
لا..»

غضت شفتها: «إنه وغد متشرداً».

- بكل تأكيد.

- مع ذلك فهو قريري أعني أنه من لحمي ودمي

هرت رأسها: «لا أظن ذلك».  
- إذن أجدد التمثيل حقاً يومذاك. ظلت بعد ذلك أنتي أحرقت  
كل مراكبي.. لذلك أتيتك متسللاً لأجل آني، والبكسي.. وفي الواقع  
إن ما كنت أريد قوله هو إنني أحبك بجنون وإن حبتي لم تكن مكتملة،  
ولن تكون بدونك. لكن، لم يُؤْتِ لي مناسباً أن أعتمد عليك اعتماداً  
كاملًا كما أنتي لم أتصرف معك بشهامة.. لذلك حاولت أن أكون  
ماكراً، ورميت كلبنا إلى النار..

تمشت: «أيها المناقق العاكر أنتي إلا يكون البكسي قد تلقى  
ذلك الدروس».

بدأ يضحك بصوت منخفض: «كنت مخططاً لاماً، ولكنني كدت  
أفقدك. إنما حالماً سمعت تقولين لغودفري «الرجل الذي أحبه حتى  
عرفت أن هناك بعض الأمل». فجأة غابت ابتسامته، وتوتر جسده وهو ينظر إليها نظرة لا إدعاء  
فيها.

- لم أصدق ما سمعت حتى الآن. أكنت مخططاً غربتاً؟ هل تعطيني  
فرصة أخرى؟

نظرت إليه بحب ويحدّر شديد ثم أمسكت وجهه بين يديها تمرر  
أصابعها على جرحه وعلى خده السليم وقالت هامسة:

- الرجل الذي أحب لا يحتاج إلى فرصة أخرى.  
سحب فرانكور نفساً عميقاً، ثم احتجواها بين يديه يعانقها بحب كما  
لم يفعل قط كان كمن يستكشف بيشه ولطف التجاوب المستمر  
داخلها.

فيما بعد ناما قليلاً، والغريب أن أحداً لم يزعجهما. كان هذا ما  
علقت عليه فريتا بعد وقت طويل. فتمت فرانكور، وخيط المرح الذي  
ستبقى ذكراؤه إلى الأبد في صوتها:

لم يكن كلامها واضحًا لأنه كان في صوتها غصة عار.

فتلاشت الخبرة من وجه فرانكو، ووضع ذراعه على كتفها وأخذ يفرك ذقنه على رأسها وكأنه يهدى طفلًا.

- نـا جـمـيـعـاً أـنـاقـبـ كـالـأـنـابـاحـ .. وـهـدـا أـحـدـ الـأـخـطـارـ الـتـيـ تـولـدـ مـعـ الـإـسـنـاـنـ .. كـانـ أـلـخـيـ نـوـدـجـارـانـعـ لـشـرـ عـلـىـ ماـ أـعـنـدـ فـتحـ يـدـيـهـ عـلـىـ صـدـرـهـ، وـكـانـهـ تـحـسـسـ الـمـشـاعـرـ الـمـكـبـوـتـةـ .. وـتـابـعـ يـهـدـوـهـ ..

- أـنـتـ تـعـرـفـنـ أـنـهـ الـمـسـؤـولـ عـنـ جـرـحـيـ أـمـاـ مـعـظـمـ النـاسـ فـيـعـتـقـدونـ أـنـتـ أـصـبـتـ بـهـ مـنـ جـرـاءـ حـادـثـةـ وـلـكـنـ لـيـسـ حـادـثـةـ .. لـقـدـ كـانـ فـيـ مـرـاجـ غـصـبـ أـعـمـىـ، وـجـاهـ يـسـعـىـ إـلـيـ يـسـكـنـ الصـيدـ ..

تـأـوـلـتـ خـوـفـانـ حـدـبـتـ نـفـسـهـ إـلـيـ أـكـثـرـ فـضـحـكـ ..

- لـاـ بـأـسـ، لـقـدـ التـهـيـ الـأـمـرـ .. مـعـ أـنـتـ أـحـسـتـ بـالـبـؤـسـ حـينـ حـسـبـكـ لـاـ تـلـقـيـنـ رـوـقـةـ وـجـهـيـ بـسـبـبـ الـجـرـحـ وـلـكـنـ سـرـعـانـ مـاـ تـخـطـيـتـ هـذـهـ الـعـلـةـ .. كـنـتـ صـادـقـ مـعـ دـالـمـاـ وـلـمـ أـرـ أـنـكـ تـشـتـرـيـنـ مـنـ مـنـظـريـ كـانـ صـوـتـهـ هـادـئـاـ، لـكـنـ طـرـيـتـاـ أـحـسـتـ بـقـلـقـهـ، فـرـقـعـتـ نـفـسـهـ عـلـىـ مـرـفقـ وـاحـدـ، وـنـظـرـتـ إـلـيـ هـيـنـهـ مـبـاـشـرـةـ ..

- أـحـبـ كـلـ شـيـءـ فـيـكـ ..

فـبـلـتـ الـبـشـرـةـ الـمـلـوـمـةـ تـحـتـ عـيـنـهـ وـأـكـملـتـ:

- بـمـاـ قـبـلـهـ هـذـاـ ..

أـحـسـتـ بـزـرـاـيدـ ضـرـبـاتـ قـلـبـهـ .. وـتـعـتـمـتـ:

- لـقـدـ أـفـعـتـنـيـ .. تـغـاضـيـتـ عـنـ غـوـدـفـرـيـ، وـسـائـسـ أـمـرـ أـخـبـكـ، أـوـ الـعـكـسـ بـالـعـكـسـ ..

كـانـ صـدـرـهـ تـحـ أـصـابـعـهـ النـاعـمـةـ يـلـعـوـ وـيـبـطـ فـأـدرـكـ أـنـهـ كـانـ بـضـحـكـ ضـحـكـةـ عـمـيـةـ مـلـؤـهـاـ الـبـهـجـةـ وـالـدـهـشـةـ .. قالـ موـافقـاـ:

- حـسـاـ .. قـوـلـيـ مـاـ تـرـيـدـنـ لـكـنـ أـهـنـهـ هـيـ مـشـكـلـتـكـ الـأـخـبـرـةـ قـبـلـ أـنـ نـسـتـرـ فـيـ نـعـيمـ الزـوـاجـ؟ أـمـ مـاـ زـالـ هـنـاكـ اـضـطـرـابـاتـ عـصـبـيـةـ مـخـبـيـةـ؟

أـدـتـ قـبـصـتـهـ مـنـ ذـقـنـهـ، وـقـالـ سـاخـطـةـ:

- مـنـ كـانـ الـمـسـؤـولـ عـنـ اـضـطـرـابـاتـ عـصـبـيـةـ؟ مـنـ كـانـ الـمـكـبـوـتـ؟

الـمـبـاـعـدـ .. وـوـ وـ .. وـعـدـيـمـ الشـعـورـ الـذـيـ رـبـطـ نـفـسـيـ مـنـ أـجـلـهـ فـيـ سـلـسلـةـ مـنـ العـقـدـ؟

رـفـعـ يـدـهـ يـمـسـكـ بـهـ لـفـتـ الـأـنـامـلـ الـمـشـدـوـدـةـ الـتـيـ رـاحـ يـلـمـ كـلـاـ

ـمـذـنـبـ، مـذـنـبـ، وـتـابـ وـمـذـلـلـ دـهـبـيـ أـعـوـضـ عـلـىـكـ ..

نـظـرـتـ إـلـيـ بـارـتـابـ لـأـنـهـ لـاـ يـدـوـ أـبـدـاـ نـادـمـاـ: «ـكـيـ؟ـ»

مرـرـ أـصـبـعـهـ عـلـىـ شـفـتـهـ فـلـمـ جـبـتـ أـنـفـاسـهـ وـأـضـطـرـبـتـ عـيـنـاهـ

ضـحـكـ ثـمـ قـالـ مـقـتـرـاـ الـمسـاعـدـةـ ..

ـيـأـنـ أـسـاعـدـكـ عـلـىـ حلـ عـقـدـكـ ..

مـرـرـ يـدـهـ عـلـىـ كـتـفـهـ فـضـحـ الدـمـ فـيـ عـرـوـقـهـ .. حـاـوـلـ الـابـتعـادـ

سـاخـطـةـ لـكـهـ لـمـ يـتـرـكـهـ، وـهـمـسـ:

ـإـنـهـ عـقـدـيـ كـذـلـكـ .. فـسـاعـدـيـنـ .. قـلـتـ لـكـ مـرـةـ إـنـيـ سـأـمـهـ كـلـ

ـمـاـ أـقـدـرـ عـلـيـهـ .. فـدـعـيـنـيـ أـجـربـ ..

ـوـهـذـاـ مـاـ فـعـلـتـ غـرـيـتاـ، وـ طـالـتـ بـمـاـ تـرـيـدـ .. أـسـكـتـ رـأـسـهـ بـيـنـ يـدـيـهـ

ـوـقـالـ هـامـسـ بـصـوتـ أـجـشنـ:

ـأـحـبـيـاـ